وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة يحي فارس بالمدية
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

علم المعاني عند عبد القاهر الجرجاني من خلال كتابه دلائل الإعجاز

– قراءة في المرجع النحوي مع مقاربة لسانية حديثة –

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات الخطاب

إعداد الطالبة:
سماهر مهدي

إشراف الأستاذة:
أ.د نوال جوابلية

السنة الجامعية:2023/2022


بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى من شجعاني على المثابرة طوال حياتي

والديّ الكريمين حفظهما الله وأطال في عمرهما.

إلى كل من علمنا وكان له فضل علينا.

إلى كل محب للعلم وأهله.

سماهر

شكر وعرفان

الشكر أولا لِلّه سبحانه وتعالى على أن وفقنا لإتمام هذا البحث «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ»

ثم الشكر ثانيا موصول إلى أستاذتي المشرفة التي لم تبخل عليّ من حسن عطائها واهتمامها طيلة مشوراي في البحث، فكان إرشادها لي وتوجيهها سبيلا للخروج من عديد المطبات التي اعترضت طريقي أثناء العمل،

ثم الشكر أخيرا إلى أسرتي التي ساندتني ودعمتني حتى اللحظة الأخيرة. كما لا ننسى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد.

مقدمة

مقدمة:

بسم الله الرحمان الرحيم، الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى.

يعتبر التراث اللغوي العربي وما يحويه من زخم معرفي ضخم، قبلة المفكرين العرب حديثا، محاولة منهم النهوض بهذا التراث وذلك بإضفاء قراءة جديدة له، وإعادة إحيائه من جديد، قصد إثبات جدارة هذا الموروث في مواكبة تحديات العصر في المجال العلمي وجدارة مفكريها أيضا.

كان عبد القاهر الجرجاني من أولئك المفكرين البارزين في حقل الدراسات اللغوية والبلاغية خصوصا، والذي كانت له إسهامات منقطعة النظير في بناء ذلك التراث، وبخاصة فيما يتعلق بعلم البلاغة حيث يعتبر الباعث الحقيقي لبوادر تأصيل هذا العلم الجليل.

نلاحظ من خلال عنوان الكتاب "دلائل الإعجاز" أن عبد القاهر الجرجاني يلمح إلى قضية إعجاز القرآن الكريم والأسباب الموصلة لمعرفة ذلك، عرض فيه عبد القاهر الجرجاني نظرية النظم والتي من خلالها توصل إلى أنها دليل ذلك الإعجاز، وخرج بنتيجة مفادها أن النظم ما هو إلا توخي معاني النحو، إذ تعتبر المسائل المتعلقة بعلم المعاني كالتقديم والتأخير، والفصل والوصل، والتعريف والتنكير...إلخ، هي مسائل نحوية قبل ذلك .

وقد حاولنا في خلال هذا البحث الكشف عن العلاقة بين علم المعاني وعلم النحو، محاولين ربط بعض مباحث علم المعاني باللسانيات الحديثة، وقد ركزنا على اللسانيات التداولية أساسا، لما لها من قضايا لها صلة بقضايا علم المعاني، فهما يشتركان في البحث عن كنه اللغة من جهة الاستعمال واتصالها بالمقام من منظور البلاغة، والسياق من منظور التداولية.

مقدمة:

ويعود سبب دراستنا لهذا الموضوع إلى ميولنا الشخصي نحو الدراسات المرتبطة بإعجاز القرآن الكريم، بالإضافة إلى رغبتنا في توسيع المدارك المتعلقة بالبلاغة العربية خصوصا واللسانيات التداولية عموما، وكذا محاولة المقابلة بينهما، لتوسيع مجال البحث، والاستفادة من اللسانيات الحديثة في تدعيم الدراسات العربية السابقة، والتي نعتبرها أسبابا موضوعية إلى حد ما.

وقد وقع اختيارنا لعنوان هذا البحث بعد الاطلاع عليه في مقالة وجدناها في إحدى المجلات، فقررنا دراسته وفق اجتهادنا الخاص، وعليه فقد أدى بنا هذا العنوان إلى صدور إشكالية عامة تتمحور حول: ما صورة علم المعاني عند عبد القاهر الجرجاني، وماهي الأسس التي بنى عليها نظرته لهذا العلم، وكيف ربط بين علم المعاني وعلم النحو في تطبيق فكرته، وما مدى استيعاب كتاب دلائل الإعجاز للنظريات اللسانية التداولية الحديثة؟ وانبثقت عن هذه الإشكالية عدة تساؤلات هي:

- كيف أثر الوضع الديني والفكري في تكوين عقلية عبد القاهر الجرجاني؟
- ماهي الأسس التي ارتكز عليها علم المعاني وما علاقة النحو في ذلك؟
- هل تجلت نظرية أفعال الكلام حقيقة في كتاب دلائل الإعجاز؟
- ما علاقة السياق في بيان المقصدية من الخطاب؟
- ما قيمة المتلقي عند عبد القاهر الجرجاني، وكيف تعامل معه؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات اعتمدنا على كل من المنهج الوصفي التحليلي مدعما بآليات التأريخ، وذلك بوصف القضايا المتعلقة بعلم المعاني وتحليلها ومحاولة التأريخ أيضا لهذه الظاهرة عند كل من علماء القرن الأول والثاني وعلماء القرن الثالث والرابع الهجري. وفق الخطة التالية:

الفصل الأول وعنوناه ب: "الكلام وآليات تشكيله عند عبد القاهر الجرجاني" ومن خلاله حاولنا التعرف على طريقة تفكير عبد القاهر الجرجاني وأسلوبه، وذلك استنادا للبحث في الخلفية العقدية التي انطلق منها، كما أشرنا إلى ماهية النظم وقضية اللفظ والمعنى ومنزلتهما عند عبد القاهر الجرجاني.

أمّا الفصل الثاني المعنون ب " الأسس الإبستيمولوجية لعلم المعاني" فقد ابتدأنا الحديث فيه أولا عن السبب الرئيسي في تفتق هذا العلم والذي كان في إعجاز القرآن الكريم، ثم عرضنا إلى إبراز هذا العلم عند بعض العلماء، وبعدها تحدثنا عن علاقة علم المعاني بعلم النحو.

وخصّصنا الفصل الثالث المعنون ب: " القضايا التداولية في كتاب دلائل الإعجاز" للحديث عن بعض الملامح التداولية الموجودة في كتابه كملامح الأفعال الكلامية، إضافة إلى التّعريج للسّياق وعلاقته بالمعنى، وكيف اهتمّ عبد القاهر الجرجاني به وبمقاصد المتكلم.

وختمنا البحث بخاتمة تضمّنت جملة من النّتائج التي توصّلنا إليها بعد رحلة البحث هذه.

مقدمة:

ورحلة البحث لم تكن وليدة العدم، بل هي امتداد لجملة من الدّراسات التي سبقنا أهلها في ذلك، والتي تجلت في صور مراجع اعتمدناها نذكر منها:

- البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، محمد العمري.
- مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني، محمد محمد أبو موسى.
- التفكير البلاغي عند العرب، حمادي صمود.

ولأنّ طبيعة البحث العلمي غزيرة المناهل، متشعّبة المسالك، فقد اعترضت طريقنا صعوبات عدة، من تلك الصّعوبات التي واجهتنا هي: تعدد قضايا هذا البحث وتشعبها مع صعوبة حصرها واستيعابها كلها، وكذلك صعوبة فهم منهج عبد القاهر الجرجاني الذي رسمه وخطه في كتابه، غير أن تصويبات الأستاذة المشرفة وملاحظاتها كانت صاحبة اليد البيضاء التي وجهت مسار البحث هذه الوجهة.

لينتهي عملنا هذا بحمد الله وفضله، فإن أحسنّا وأصبنا فمن الله، وإن أخطأنا فمن أنفسنا والشّيطان، وسنكتفي حينئذ بأجر الاجتهاد، والله ولي التوفيق.

أولا: الكلام وآليات تشكيله عند عبد القاهر الجرجاني:

1.1.الخلفية العقدية وأثرها في فكر عبد القاهر الجرجاني.

2.1.الكلام النفسي ودوره في تكوين مفاهيم عبد القاهر الجرجاني.

ثانيا: قضية اللفظ والمعنى عند عبد القاهر الجرجاني:

1.2 علاقة اللفظ بالمعنى عند عبد القاهر الجرجاني.

2.2 قضية أسبقية المعنى على اللفظ عند عبد القاهر الجرجاني.

ثانيا: ماهية النظم عند عبد القاهر الجرجاني:

1.3 مفهوم النظم لغة واصطلاحا.

2.3 النظم قبل عبد القاهر الجرجاني.

3.3 النظم عند عبد القاهر الجرجاني.

تمهيـــــد:

نشأ عبد القاهر الجرجاني في زمن انتشرت فيه الآراء الكلامية القائلة بإعجاز القرآن الكريم، والتي سعت إلى تفسيره بالكشف عن أسرار الجمال في الكلام البليغ عامّة، وكانت البلاغة آنذاك قد مزجت بالمنطق، فظهر ما اصطلح عليه بعلم الكلام، والذي أثر في تشكيل شخصيّة عبد القاهر الجرجاني، وكوّن أسلوبه.

وتعود نشأة هذا العلم إلى عدّة عوامل داخلية وخارجية خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين على يد المعتزلة.

وقد كانت المشكلات السياسية في مقدمة العوامل التي ساهمت في بداية تبلور علم الكلام، والتي بدأت أواخر عهد الخليفة الثالث (عثمان بن عفان)، ثم تلتها المشكلات الدينية المتعلقة بمرتكب الكبيرة هل هو مخير أم مجبر في ارتكابها «وكانت الإجابة عن هذا السؤال بداية تشكل الفرق الإسلامية»[1].

ويمكن القول أنّ قضية خلق القرآن تعدّ من أهم عوامل ظهور هذا العلم، حيث أراد المعتزلة أن يفسّروا القرآن الكريم استنادا على أدلّة عقلية، وبهذا فقد خالفوا أهل السنة في تقديم النّقل أولا على العقل، ومن هذه المقدمة وصل المعتزلة إلى نفي صفات الله، فأبطلوا أن تشاركه في القدم، ومن هذا النّفي كان اعتبارهم القرآن مخلوقا، ومنه بدأت محنة خلق القرآن والتي انطلقت منذ سنة (218هـ/833م)، فانتشرت الشّبهات حول القرآن الكريم ممّا دفع بالمسلمين إلى تعلّم هذا العلم نتيجة ما اعتبروه ضرورة للردّ على المخالفين،وكان الهدف

[1] محمد خير العمري. (علم الكلام بين الأصالة والتجديد) ع3. مج 5. المجلة الأدبية في الدراسات الإسلامية. الأردن. 2009م. ص 239. ص239.

الأساسي هو إقامة الأدلّة وإزالة الشّبهة؛ ويعتبر بعض العلماء أنّ جذور علم الكلام ترجع إلى الصّحابة والتّابعين وكانت مرحلة الاستقرار الأولى في زمن المأمون العباسي ابن هارون الرشيد، وفي هذا يقول الشهرستاني: « ثم طالع بعد ذلك شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة حين نشرت أيام المأمون، فخلطت مناهجها بمناهج علم الكلام وأفردتها فنّا من فنون العلم، وسمّتها علم الكلام إمّا لأنّ أظهر مسألة تكلّموا فيها وتقاتلوا عليها هي مسألة الكلام فسمّي النّوع باسمها، وإما لمقابلتهم الفلاسفة في تسميتهم فنّا من فنون علمهم بالمنطق، والمنطق والكلام مترادفان»[1]

ومن أشهر رؤوس المعتزلة واصل بن عطاء، عمرو بن عبيد، إبراهيم النظام، الجاحظ، والقاضي عبد الجبار...

يعتبر علم الكلام وعلم المنطق متلازمان كونهما مبنيان على العقل وينطلقان في البحث عن كوامن الأشياء منه ، واقتضت الحجّة من خلالهما أن تكون أقوى في الإقناع، ومنه فإنّ هذه العلوم العقلية مكّنت العلماء المسلمين من مجادلة أولئك الخصوم بالحكمة والموعظة الحسنة وهو ما دلّ عليه قول الله عزو جل:﴿ **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ [2] [النحل:125].

فقام علم الكلام على إقامة الحجج ودفع الشّبه في محاولة إثبات المسائل الشرعيّة وقرع الخصوم، وكلّ هذا قد لعب دورا في صقل عقليّة عبد القاهر الجرجاني.

[1] عبد الكريم الشهرستاني. الملل والنحل ج 1. تح. محمد بن فتح بدران. مكتبة الأنجلو مصرية. القاهرة. ط1. د/ت ص.41.

[2] سورة النحل. الآية: 125.

إذ يتّضح ذلك من خلال كتابه دلائل الإعجاز، حيث نراه من بدايته إلى نهايته يعمد إلى الحجج العقليّة والموضوعيّة واللّغوية لإيصال مقصودة وإقناع متلقّيه بالحجّة والدّليل، وتعتبر فكرة النّظم مدار بحثه، اتّخذها سبيلا إلى تحليل الكلام معتمدا على توجّه عقلي مسبق كما قلنا وأسس واضحة، باعتبار أنّ العقل هو الأصل الذي تنبني عليه المعرفة، وقد استفاد عبد القاهر الجرجاني من جهود سابقيه أمثال: الجاحظ، الباقلاني، القاضي عبد الجبار...وغيرهم في تكوين فكرة النّظم وصياغة مفاهيمها، كما سعى إلى إثبات إعجاز القرآن الكريم من خلالها، ويعتبر اللّفظ والمعنى جوهرا الكلام ومن أهم القضايا التي شغلت الكتاب، باعتبارهما مصدرا تحقق الكلام.

كما ناقش عبد القاهر الجرجاني ما ترتّب من آراء ومبالغات في تفضيل الواحد منهما على الآخر، وتوصّل إلى أنّ الألفاظ هي رموز للمعاني، وبالألفاظ نشكّل التّراكيب ليكون النّظم الذي هو توخّي معاني النّحو فيما بين الكلم.

كما أكّد على أهمّية المعنى في البلاغة وإليه ترجع المزيّة دون اللفظ وذلك من خلال عمليّة تأويل الكلام، إذ يقول: «واعلم أنّ الفائدة تعظم في هذا الضّرب إذا أنت أحسنت النّظر فيما ذكرت لك من أنّك تستطيع أن تنقل الكلام في معناه من صورة إلى صورة من غير أن تغيّر من لفظه شيئا أو تحوّل كلمة من مكانها إلى مكان آخر، وهو الذي وسع مجال التّأويل والتّفسير حتى صاروا يتأوّلون في الكلام الواحد تأويلين أو أكثر، ويفسّرون البيت الواحد عدّة تفاسير»[1].

[1] عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. دار الغد الجديدة. القاهرة. ط1. 1438هـ/2018. ص 257.

وهذه المعاني تنتظم في النّفس أولا ضمن منحى عقلي، ثم تنتظم ألفاظا وليس «الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النّطق بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل»[1]، هذا التّناسق في الدّلالات وتلاقي المعاني في الكلام،

يمكن تفسيره ب «تبلور الأفكار في النّفس وانتظامها انتظاما نظريّا مجرّدا حسب مقولات الفكر، ثم بروز الحاجة إلى الرّموز والعلامات، لأنّ الفكر لا يلتبس بالفكر والجوهر لا يدلّ على الجوهر فتستبدل المعاني المجرّدة بالسّمات والعلامات الدّالة عليها، ثم ترتّب هذه العلامات على النّسق الذي ترتّب حسبه المعنى في النفس»[2].

وهي بذلك تنطبق على النّماذج اللّسانية الحديثة والتّوليدية هنا بالخصوص، القائلة بقاعدية المكوّن الدّلالي والبنية العميقة التي هي معاني النّفس، والبنية السّطحية المتمثّلة في اللّفظ، ويعتبر الكلام النّفسي وهو المعنى القائم بالنّفس الأساس الذي اعتمده عبد القاهر الجرجاني في تكوين نظرية النظم كما سنرى فيما بعد.

[1] عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص 39.

[2] حمادي صمود. التفكير البلاغي عند العرب. منشورات الجامعة التونسية. تونس. د/ط. 1981. ص. 454.

1.1.الخلفية العقدية وأثرها في فكر عبد القاهر الجرجاني:

إنّ للخلفيّة العقديّة دورا في قراءة توجّهات العلماء ومحاولة فهمها، وعبد القاهر الجرجاني كما تذكر الدّراسات أنّه كان أشعريّا[1]، إذ يسير منهج الأشاعرة في العقيدة على «سلسلة عقليّة طويلة تبدأ بالعلم والنّظر وما يتعلّق بهما، ثمّ تنتقل إلى حدوث العالم وإثباته، ثم إثبات الصّانع ومخالفته للحوادث، وفيها بحوث طويلة عن الجواهر والأغراض والأحوال وما شابهها، ثمّ تأتي مباحث صفات القديم وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسّمع والبصر وأخيرا صفة الكلام وكل ما كان قبله صفة للكلام»[2].

حيث يظهر ارتكازهم في أي بحث سواء تعلق بالعالم الكوني أم بالعالم الغيبي على العقل، وهم بهذا قد خالفوا أهل السنة من خلال « تعويلهم على العقل والجدل وعلم الكلام (النظر) في صفات الله ومسائل القدر والغيب وتقديمهم العقل بما يسمونه القواطع العقليّة على النّقل (الكتاب والسنة) في أمور الغيب ومسائل الاعتقاد بل في مسائل صفات الله تعالى فالقاعدة عندهم...أنّ الدّلائل النّقلية لا تفيد اليقين، وأنّ الدّلائل النّقلية ظنّية وأنّ العقليّة قطعيّة والظّن يعارض العقل»[3].

ومن هذا المنطلق خاضوا البحث في المسائل الدّينيّة، ومنها البحث في كلام الله بحثا عقليّا لا نقليا كما ارتضاه أهل السنة، ومسمّى الكلام عندهم هو المعنى الدّال على العبارة

[1] الأشاعرة: فرقة كلامية كبرى تنسب لأبي الحسن الأشعري(ت324ه) ظهرت في القرن الرابع وما بعده، بدأت أصولها بنزعات كلامية خفيفة أخذها الأشعري عن ابن كلاب تدور حول مسألة كلام الله تعالى وأفعاله الاختيارية مع القول بالكسب الذي نشأت عنه نزعة الجبر والإرجاء، ثم تطورت وتعمقت وتوسعت في المناهج الكلامية حتى أصبحت من القرن الثامن وما بعده فرقة كلامية عقلانية فلسفية مقابرية مرجئة جبرية. للاستزادة ينظر: ناصر عقل الفرق الكلامية المشبهة، الأشاعرة، الماتردية، نشأتها وأصولها وأشهر رجالها ومواقف السلف منها، دار الوطن للنشر. السعودية. ط1. 2001م. ص49.

[2] سفر بن عبد الرحمان الحوالي. منهج الأشاعرة في العقيدة. دار منابر الفكر. دمشق. د/ط. د/ت. ص. 66.

[3] فخر الدين الرازي. معالم أصول الدين. تح. طه عبد الرؤوف سعد. دار الكتاب العربي لبنان. د/ط. د/ت. ص. 24.

لا اللّفظ في حد ذاته، سعيا منهم إلى محاولة تجديد منهج العقيدة بمواجهة المعتزلة وطرح أفكارهم، من أجل إثبات وجه إعجاز القرآن الكريم من حيث المعنى لا اللّفظ.

حيث أنّ القرآن عند أهل السنة والجماعة هو كلام الله المنزل الغير مخلوق، أمّا عند المعتزلة فالقرآن مخلوق، وأمّا الأشاعرة فوافقوا أهل السنة في أنّ القرآن غير مخلوق، ولكن اختلفت وجهات نظرهم في طبيعة كلام الله مع المعتزلة وأهل السنّة.

حيث يرى الأشاعرة أنّ «حد المتكلم هو من قام به الكلام، فمعنى هذا أن الكلام صفة للمتكلم، وهذا خلاف ما ذهب إليه المعتزلة أنه من فعل الكلام ووفقا لاختلاف معنى المتكلم والكلام عند الأشاعرة والمعتزلة، كان اختلافهما في طبيعة الكلام الإلهي...فالأشاعرة يعدّونه صفة أزلية قائمة بذاته...والمعتزلة يعدّونه فعل أحدثه الله في لا محل، وأنه حادث»[1]

فالكلام الذي يثبته الأشاعرة لله هو معنى أبدي قائم بالنّفس ليس بحرف ولا صوت ولا يوصف بالخبر والإنشاء، عكس مذهب الاعتزال الذي يرى أنّ كلام الله مخلوق فطرحوا المعنى واشتغلوا باللّفظ، وعليه فقد فنّد الأشاعرة قول المعتزلة بخلق القرآن، وأثبتوا صفة كلام الله تعالى والذي قصدوا به الكلام النفسي، وهو المعنى القائم بالنفس...وهم بذلك خالفوا المعتزلة وقدموا المعنى على اللفظ.

وقد احتدم الجدال في زمن الجرجاني حول قضيّة اللّفظ والمعنى وأسبقيّتهما بصورة واضحة، وهذا ما ساعد الجرجاني على تأسيس نظرية النّظم، فكما ذكرت الأبحاث أنّه «أوّل من مهّد للأشاعرة نظريّة في النّظم والبيان وأحسن من طبّق أصول المذهب الأشعريّ في باب إعجاز القرآن، وأنّه سخّر أبحاثه البلاغيّة في نظريّته في النّظم لخدمة عقيدته الأشعريّة»[2].

[1] علي عبد الفتاح المغربي. الفرق الكلامية مدخل...ودراسة. مكتبة وهبة. القاهرة. ط2. 1995. ص291.

[2] عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر. البلاغة في ضوء مذهب السلف في الاعتقاد. مكتبة دار المنهاج. الرياض. ط1. 1435هـ. ص 29.

وهي نتيجة توصّل إليها عبد القاهر الجرجاني بعدما «أصبحت مسألة ما إذا كان القرآن معجزا بنظمه وتأليفه أم بمعانيه فقط أم بلفظه ومعانيه معا من القضايا الفكرية التي استنبطت اهتمام المفكرين البيانيين متكلّمين كانوا أم غير متكلمين، وبالتّالي أصبحت إشكالية اللّفظ والمعنى هي الموضوع الرّئيسي في المناقشات التي دارت وتدور إلى اليوم، حول ظاهرة الإعجاز في القرآن الكريم»[1].

حيث أن اللفظ بالنّسبة إلى المعتزلة هو وجه إعجاز القرآن وبه يمكن إثبات ذلك الإعجاز لاعتقادهم أنّ المعنى مجازي أي غير حقيقي، كما قالوا أنّ كلام الإنسان حروف وكذلك كلام الله، وعليه فقد أطلق أبو الحسن الأشعري إطلاقين على كلام الله انطلاقا من كلام الإنسان « باعتبارين أحدهما الصّوت والآخر كلام النّفس...وكلام الله يطلق بهذين الإطلاقين "المعنى النفسي" وهو القائم بذاته...وهو الذي لا يتغيّر بتغيّر العبارات ولا يختلف باختلاف الدّلالات، وهذا هو الذي نريده...وأمّا القرآن بمعنى الكلام اللفظي فهو بلا شك الكلام الحادث المخلوق ويطلق عليه كلام الله مجازا»[2].

وقد شكّل التّعارض بين الحقيقة والمجاز الأفكار البيانيّة، فالحقيقة ما ينطبق على ظاهر الخطاب الديني أما المجاز: « فهو الضرورة في جانبيها أي باعتبارها عجزا عن الوفاء بالقاعدة (والله متعال عن ذلك) وباعتبارها تشويشا على القاعدة بسبب ما تسبّبه من لبس فنّي»[3].

وهذه المفاهيم تنطبق على المفاهيم النّحوية كذلك، ومن خلال هذا الاعتقاد بنى المعتزلة رأيهم المتعلق بالمجاز وأبرزوا القيمة البيانية به، ومن هذه النقاشات حول الحقيقة والمجاز تغذّت المباحث البلاغيّة، « ومع أنّ كتب البلاغة العربية يكاد يأخذ بعضهما من

[1] محمد عابد الجابري. بنية العقل العربي. مركز دراسات الوحدة العربية. لبنان. د/ط. 2006. ص76.
[2] ينظر: أحمد أمين. ضحى الإسلام. مؤسسة الهنداوي. المملكة المتحدة. القاهرة. د/ ط. 2017. ص717.
[3] محمد العمري. البلاغة العربية أصولها وامتداداتها. أفريقيا الشرق. الدار البيضاء. د/ط. 1999. ص129.

بعض وتكاد مناهج بحثها تنطق إلى حد ما، نرى اتّجاهين واضحين في طريقة بحثها، فمن البلاغيّين من سيطرت على كتبهم النّزعة الأدبيّة، ومنهم من سيطرت على كتبهم النّزعة الفلسفيّة والعقليّة، وكان نتيجة ذلك أن ظهرت مدرستان بلاغيّتان هما المدرسة الأدبيّة والمدرسة الكلاميّة»[1].

ونستطيع أن نصنّف عبد القاهر الجرجاني ضمن المدرسة الكلاميّة ذات النّزعة الفلسفيّة والعقليّة، استنادا إلى ما ذكرنا سابقا في أنّه اعتمد على العقل أساسا في بحثه بحكم الجدل والنّقاشات التي حدثت في عصره، فاعتمد نفس الطّريقة في الاحتجاج لبيان غرضه.

ويعتبر الحجاج عماد علم الكلام، وقد عرّف ابن خلدون علم الكلام بأنّه «علم يتضمّن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلّة العقليّة والردّ على المبتدعة المنحرفة في الاعتقادات عن مذاهب السّلف وأهل السّنة، وسرّ العقائد الإيمانية هو التّوحيد...إلّا أنّه عرض بعد ذلك خلاف في تفاصيل هذه العقائد، أكثر مثارها من الآي المتشابهة، فدعا ذلك إلى الخصام والتّناظر والاستدلال بالفعل زيادة في النّقل فحدث بذلك علم الكلام»[2].

فخاض المتكلّمون غمار البحث والتّحليل بالاعتماد على العقل من أجل إرضاء عقيدتهم التي ارتضوها، وقد اشترط المتكلمون إضافة الفلسفة إلى جانب الدين.

فالمتكلّم بالنّسبة لهم لا يكون متكلّما إلا إذا كان«جامعا لأقطار الكلام متمكّنا في الصّناعة ويصلح للريّاسة، حتى يكون الذي يحسن من كلام الدّين في وزن الذي يحسن من

[1] أحمد مطلوب. دراسات بلاغية ونقدية. دار الرشيد للنشر. العراق. د/ط. 2010. ص13-14.

[2] عبد الرحمان بن خلدون. المقدمة ج2. تح. عبد الله محمد درويش. دار يعرب. دمشق. ط1. 2000م. ص 205-210.

كلام الفلسفة، والعالم عندنا هو الذي يجمعهما، والمصيب هو الذي يجمع بين تحقيق التوحيد وإعطاء الطبائع حقها من الأعمال»[1].

والسّبب في اشتراط الجاحظ أن يكون المتكلّم عالما بالفلسفة لأنّ الحجة عند ذلك تكون أقوى في إقناع المتلّقين.

فما كان من الجرجاني إلاّ أن تصدّى لهم بنفس الأسلوب –كما ذكرنا هذا سابقا– بعد أن «وجد نفسه أمام زمن يموج بالعلم والصراع بين المذاهب وبعصبية صاحب كل بضاعة من العلم لبضاعته وتناثرت أقوال وتضاربت إذ كان الفساد قد دخل على الناس فأصاب منه حصته كل عالم وباهل وقد وصف هذا عبد القاهر الجرجاني في أول كتابه»[2] بعد كل ما رآه من فساد وانحراف عن المنهج الصحيح.

إذ يقول: « ثم إنا وإن كنا في زمان هو على ما هو عليه من إحالة الأمور عن جهاتها وتحويل الأشياء عن حالاتها ونقل النفوس عن طباعها، وقلب الخلائق المحمودة إلى أضدادها، ودهر ليس للفضل وأهله لديه إلاّ الشّر صرفا والغيظ بحتا، وإلاّ ما يدهش عقولهم ويسلبهم معقولهم»[3].

فكانت النّزاعات في زمنه قائمة على بيان الجهة التي كان بها إعجاز القرآن الكريم، فوردت آراؤهم كإشارات وتلميحات دون تفسير دقيق لها، وصاروا إذا سئلوا عن تحديد هذه البلاغة التي اختص بها القرآن قالوا إنّه لا يمكننا تصويره، وسنذكر فيما بعد بعض الآراء التي قيلت في هذا الشّأن قبل الجرجاني.

---

[1] الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر. الحيوان. تح. عبد السلام هارون. منشورات الحلبي. لبنان. ط2. 1965. ص. 1342.

[2] محمود محمد شاكر. مداخل إلى إعجاز القرآن. دار المدني. بجدة. السعودية. د/ط. د/ت. ص91.

[3] عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص 29.

وقد ساعد هذا عبد القاهر في تجلية الإبهام الذي عاشته البلاغة في زمنه، وانتفع بما كتبه سيبويه أيّما انتفاع، كما أفاد مما كتبه السابقون من الأدباء والنقاد العرب وأصحاب الموازنات ودارسي الشعر وغيرهم.

فأقام عبد القاهر الجرجاني «نظرية النّظم على توخّي معاني النّحو وظهرت على ماهي عليه بعد طول تفكّر وعناء واستقراء لما ورد من أفكار قبله، حيث كانت كما وصف ذلك في كتابه بأنّها كالرّمز والإشارة والإيماء والتّنبيه على مكان الخبيء، وكان عليه أن يحلّ رموز هذه الألفاظ (نظم القرآن، بديع التركيب، وغريب تأليفه) ويكشف عن خباياها...»[1] فكانت نتيجة هذا التفكر، أنّ "توخي معاني النحو" هو الذي ترجع إليه الفضيلة والمزية في كل كلام.

[1] محمود محمد شاكر. مداخل إعجاز القرآن. ص97.

2.1.الكلام النفسي ودوره في تكوين مفاهيم عبد القاهر الجرجاني:

الكلام النفسي عند الأشاعرة هو المعنى القائم بالنفس، أي المعنى الذي يجول في خاطر الإنسان ويعبّر عنه برموز أو عبارات أو إشارات أو الخطّ أو الكتابة، وبهذا التصوّر قالوا بأنّ: «كلام الله نفسي، وهو صفة ذاتيّة قديمة لله سبحانه وتعالى، وإن أريد به الأمارات من العبارات والألفاظ فهي دوال تعبّر عن كلام الله وليست إيّاه»[1].

وقد نصّ علماء العربيّة أنّ حدّ الكلام هو اللّفظ المركّب المفيد بالوضع؛ ويطلقون اسم الجمل أيضا على الجمل المفيدة وهو المفهوم من قول سيبويه «واعلم أنّ "قلت" إنّما وقعت في كلام العرب على أن يحكى بها، وإنّما تحكي بعد القول ما كان كلاما لا قولا»[2].

فالكلام ما تعلّق بالجمل والقول ما تعلّق بالمفردات «ولا يريد أنّ القول مخصوص بالمفردات فإطلاقه على الجمل شائع باتّفاق»[3].

وعليه فالكلام إذن يتناول اللفظ والمعنى معا، وهذه حقيقة أقرّها النّحاة وهذه حقيقته في لغة العرب أيضا.

ويقر الجرجاني بحكم عقيدته الأشعرية، بأنّ المعاني قائمة في النّفوس فإذا كانت الألفاظ الموضوعة لها حسنة نظما وسبكا، كان لذلك أثر في نفوس المتلقّين إذ يقول: «فإذا رأيت البصير بجواهر الكلام يستحسن شعرا أو يستجيد نثرا، ثمّ يجعل الثّناء عليه من حيث اللّفظ فيقول: حلو رشيق وحسن أنيق، فاعلم أنّه ليس ينبئك عن أحوال ترجع إلى أجراس

---

[1] القاضي الطيب الباقلاني. الإنصاف فيما يجوز اعتقاده ولا يجوز الجهل به. المكتبة الأزهرية للتراث. القاهرة. ط1. 2000م. ص108.

[2] أبو بشر عمرو بن قنبر سيبويه. الكتاب ج1. تح/ عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي. القاهرة. ط3. 1988م. ص. 122.

[3] ابن مالك الطائي الجباني. شرح تسهيل الفوائد ج1. تح/ عبد الرحمان السيد. مجد للطباعة والنشر. اليمن. ط1. 1990. ص05.

الحروف وإلى ظاهر الوضع اللّغوي، بل إلى أمر يقع من المرء في فؤاده وفضل يقتدحه زناده»[1].

فاستحسان الكلام حسب هذا القول لا يرجع إلى ظاهر اللّفظ وإنّما إلى المعنى، وقد كثر في زمن عبد القاهر الجرجاني القول بأنّ المزيّة راجعة للّفظ لا للمعنى، وذلك من خلال اتّباعهم آراء المعتزلة وترك النّظر، والسّبب في ذلك أنّ المعتزلة كانت لهم منزلة رفيعة لم تصل إليها منزلة الأشاعرة التي كان ينبذ صاحبها من أجلها.

وعلى إثر ذلك كان لقول المعتزلة أنّ «المزية في الفصاحة للفظ لا للمعنى أساس البلاء، لأنّه صدر عن قوم لهم نباهة وصيت وعلو منزلة في أنواع من العلوم غير العلم الذي قالوا ذلك القول فيه، ثم وقع في الألسن فتداولته ونشرته وفشا وظهر، وكثر الناقلون له والمشيدون بذكره، فصار ترك النّظر دينا والتّقليد دينا»[2].

وهذا هو الدّاء بالنّسبة لعبد القاهر الجرجاني، في أن جُعلت المزيّة للّفظ دون المعنى، وقد كان هذا الإشكال قائما على نفي الكلام النفسي وإثباته، ثمّ اجتهد كلّ من الفريقين في إثبات وجهة نظره ودحض رأي الآخر، اعتمادا على معطيات معينة حول علاقة اللفظ والمعنى.

وقد تأثّر ابن سنان الخفاجي (ت466هـ) بالقاضي عبد الجبّار فجعل الكلام عبارة عن أصوات ونفى الكلام النّفسي وعرض لموقفه «الذي يحمل كل سمات العنف المعرفي والمغامرة العلميّة التجريبيّة التي تشرف بصاحبها على التّخرم البعيد للمجال المعرفي الذي يشتغل به، وهذا سيساهم في تفسير الحرارة التي هيمنت على عمل الجرجاني في الدّلائل وهو يبدي ويعيد ملحا على المعاني النّفسية أو المرتّبة في النّفس»[3].

[1] عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص03.

[2] حسن بن عبد الرزاق. دلائل الإعجاز بين أبي سعيد السيرافي والجرجاني. دار الطباعة العصرية. بيروت. د/ط. 2003. ص 20.

[3] محمد العمري. البلاغة العربية أصولها وامتداداتها. ص311-312.

فتصدّى عبد القاهر الجرجاني لهذه الأقوال مدلّلا على«أنّ النّظم هو الموضوع المناسب للبحث في المزيّة ودفع أن تكون المزيّة في الصّوت، والنّظم يعارض الصّوت باعتبار الأوّل عملية معنوية تجري في الذّهن»[1].

كما يرى الجرجاني أنّ الصّفة الجوهريّة المحدّدة للكلام المنسوب إلى قائله تكون من حيث الصّنعة، فإذا قلنا «ماهي الجهة التي يختص منها الشعر بقائله؟ إنّها نفسها الجهة التي يختص منها النّسيج بالنسّاج والحلي بالصائغ، إنّها ليست المادّة أي الإبريسم والذّهب والفضّة، ولكن من جهة العمل والصّنعة، فلو قلنا امرؤ القيس هو قائل هذا الشّعر فمن أين جعلنا له هذه الصّفة؟ أمن حيث نطق بالكلام وسمعت ألفاظها أم من حيث صنع فيها ما صنع وتوخى ما توخى»[2] فهو يؤكد على أن المزية في المعنى لا في اللفظ.

وسعى الجرجاني إلى إثبات رأيه من خلال النّظم وتوخي معاني النّحو «وهو اجتهاد كبير بذله الجرجاني لإخراج المقولة الأشعريّة حول الكلام النفسي من الغموض والتّجريد بأن يجعلها ملموسة قابلة للفحص، ولسانيّة صالحة للدّخول في الوصف البلاغي للإعجاز وهو يرد بذلك تهمتين كبيرتين ألصقتا بالكلام النّفسي والمعاني النّفسية من طرف المعتزلة ومن يقول بقولتهم»[3].

ومن خلال هذا الطّرح فقد شكّلت قضيّة اللّفظ والمعنى صراعا محتدما بين المعتزلة والأشاعرة وكلاهما يحاول الانتصار لقضّيته، وقد نجح عبد القاهر الجرجاني في استخراج نظرية أرضت عقيدته الأشعرية وانتصرت للمعنى وهي نظريّة النظم التي تجمع اللفظ والمعنى معا إلى حد ما.

[1] محمد العمري. البلاغة العربية أصولها وامتداداتها. ص317.

[2] عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص250.

[3] محمد العمري. البلاغة العربية أصولها وامتداداتها. ص322.

ثانيا: قضية اللفظ والمعنى عند عبد القاهر الجرجاني:

تعتبر قضية اللفظ والمعنى من أكثر القضايا إيغالا وجدلا في تاريخ الدّراسات الأدبيّة والبلاغيّة والنقديّة نظرا لاحتدام الآراء في أيّهما أسبق، إذ بدء الاشتغال بهما منذ أن نزل القرآن الكريم معجزا من لدن حكيم عليم، ممّا أثار حيرة العرب في تفسير وبيان جهة إعجازه، علاوة على ذلك ظهور حركة التّرجمة واطّلاع العرب على ثقافات الأمم الأخرى غير العربيّة والفلسفيّة منها خاصّة، هذا من جانب الحركة العقليّة.

أمّا من جانب البلاغة فقد اشتدّ الخلاف عند النّقاد والبلغاء في علاقة اللفظ بالمعنى، وكان ذلك مستمدًّا من اللّمحات النّقدية التي كانت تصدر من الشّعراء، والتذوّق لجماليّات النّص القرآني، السّؤال الذي طرح في عقول أولئك الباحثين عن الحقيقة هل كان إعجاز القرآن من جهة اللفظ أم من جهة المعنى؟ وإلى أيّهما ترجع المزية، وأيّهما يخدم الآخر فاختلفت الآراء في ذلك بين أنصار اللفظ وأنصار المعنى، وقد حاول عبد القاهر الجرجاني معالجة هذا الإشكال ببيان فساد القول بالتباين بينهما.

1.2.علاقة اللفظ بالمعنى عند عبد القاهر الجرجاني:

كان رأي المعتزلة أنّ المزيّة راجعة إلى اللّفظ، وكان رد الجرجاني على ذلك أن قال: «فإن قيل فما دعا القدماء إلى أن قسّموا الفضيلة بين المعنى واللّفظ فقالوا معنى لطيف ولفظ شريف، وفخّموا شأن اللفظ وعظّموه حتى تبعهم في ذلك من بعدهم وحتى قال أهل النظر [1] "إنّ المعاني لا تتزايد وإنّما تتزايد الألفاظ" فأطلقوا كما ترى كلاما يوهم من سمعه أنّ المزية في حق اللفظ»[2] وذلك أنّ الكلام لا يمكن أن يتحقّق إلاّ بوساطة اللفظ ولا يمكن للمعاني أن تتبيّن إلا به، فظنّوا أنّ المزيّة في اللّفظ وأهملوا المعنى.

وبالرّجوع إلى القدامى نجد أنّ هناك من النّقاد من فرق بين اللّفظ والمعنى فنرى ابن قتيبة(ت276هـ) قسّم الشعر إلى أربعة أقسام، يقول في «لبيد بن ربيعة:

ما عاتَبَ الحُرَّ الكَريمَ كَنَفسِهِ ۔۔۔ وَالمَرءُ يُصلِحُهُ الجَليسُ الصّالِحُ

هذا وإن كان جيّد المعنى والسّبك فإنّه قليل الماء والرّونق»[3] فالبيت وإن كان جيّد المعنى وصيغ صياغة محكمة إلاّ أنّه لم يوضع في قالب يلائم معناه، وهو يشير إلى المعنى هنا، وقال في الأبيات التالية:

«ولمّا قضَينا مِن مِنى كلَّ حاجةٍ ۔۔۔ ومسَّحَ بالأركانِ مَن هوَ ماسحُ

أخذنا بأطرافِ الأحاديث بيننـــا ۔۔۔ وسالتْ بأعناقِ المَطِيِّ الأباطحُ

[1] أهل النظر: قال بعضهم هم المتكلمون، ويعني بهم المعتزلة، وقولهم هذا هو نص كلام القاضي عبد الجبار المعتزلي في كتابه المغني في الجزء 199/16 بعنوان: "فصل في الوجه الذي له يقع التفاضل في فصاحة الكلام"

[2] عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص. 48.

[3] ابن قتيبة أبو محمد عبد الله. الشعر والشعراء ج1. تح/ أحمد محمد شاكر. دار الحديث. القاهرة. ط2. 1958. ص69.

فهذا الضّرب من الشّعر ما حسن لفظه وحلا، فإذا أنت فتّشته لم تجد هناك فائدة من المعنى»[1] وهو يشير إلى حسن اللفظ هنا، فتارة تكون المزّية في اللّفظ وتارة تكون في المعنى وباقي الضّربين تحدث فيهما عن اللفظ والمعنى معا.

وهناك من خيَّر اللفظ على المعنى وجعل المزيّة فيه، مثل الشّريف الرّضي حيث يقول: « إنّ الألفاظ خدم للمعاني لأنّها تعمل في تحسين معارضها وتنميق مطالعها، وجاء ابن رشيق القيرواني وقرر بأنّ المعنى واللّفظ متلازمان ولكنّه عاد ومال إلى نصرة اللّفظ وأمّا ابن سنان الخفاجي فتحيُّزه للألفاظ»[2] واضح.

وعبد القاهر الجرجاني يعارض الآراء القائلة بأنّ الحسن والمزيّة ترجع إلى اللّفظ إذا استحسن شعرا ما، فيقول:« إذا رأيت البصير بجواهر الكلام يستحسن شعرا أو يستجيد نثرا، ثم يجعل الثّناء عليه من حيث اللّفظ فيقول: حلو رشيق وحسن أنيق وعذب سائغ وإلى ظاهر الوضع اللّغوي، بل إلى أمر يقع من المرء في فؤاده، وفضل يقتدحه العقل من زناده»[3] فاللّفظ يعتبر صورة ظاهرة عن المعنى الخفيّ والعقل هو الذي أنتج المعنى، أمّا القول بأنّ اللّفظ حلو رشيق وحسن أنيق فهي كناية عن المعنى وذلك لأنّ معناه إذا وافق معنى ما يليه كان الاستحسان في المعنى أولا.

ولم يلغي عبد القاهر الجرجاني المزيّة في اللّفظ مطلقا فبعض الألفاظ لها شرف في أنفسها إذ يقول: «واعلم أنا لا نأبى أن تكون مذاقة الحروف وسلامتها مما يثقل على اللّسان

[1] ابن قتيبة. الشعر والشعراء. ص67.

[2] عبد العزيز عبد المعطي. قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية. عالم الكتب. بيروت. ط1. 1985. ص 444.

[3] عبد القاهر الجرجاني. أسرار البلاغة. تح محمود محمد شاكر. دار المدني بجدة. د/ط. د/ت. ص 3.

داخلا فيما يوجب الفضيلة وأن تكون ممّا يؤكّد أمر الإعجاز، وإنّما الذي ننكره ولا نقبل رأي من يذهب إليه أن يجعله معجزا به وحده، ويجعله الأصل والعمدة»[1].

فالفضيلة في الكلام لا ترجع إلى اللفظ وحده بل للمعاني لأنّها دالة عليها، وإذا كان اللّفظ سليما فتلك فضيلة ولكن ليست هي المعوّل في بيان المزيّة، ولبيان ذلك قدّم عبد القاهر الجرجاني مثالا عن الاستعارة والتي لا تقع من جهة اللّفظ البتّة، ولكن من جهة المعنى وذلك مثل قول: «لبيد بن ربيعة:

وغدَاةَ ريحٍ قد كَشَفْتُ، وقِرَّةٍ إذ أصبحَتْ بيَدِ الشَّمالِ زِمَامُها

فإذا نظرنا إلى الألفاظ فقط فلا شيء يوهم التّشبيه في اليد والزمام، «وإنّما المعنى على أنّه شبّه الشمال في تصريفها "الغداة" على طبيعتها بالإنسان، يكون زمام البعير في يده فهو يصرّفه على إرادته ولمّا أراد ذلك جعل الشّمال يدا وعلى الغداة زمامها»[2].

ثم قسّم عبد القاهر الجرجاني الكلام الفصيح إلى قسمين، قسم ترجع المزيّة فيه إلى اللفظ بأن يكون حسنا خاليا من التّعقيد اللّفظي وتنافر الحروف، وقسم ترجع المزيّة فيه إلى النّظم من قبيل الاستعارة والكناية والتّمثيل.

ولا تعتبر هذه الفنون السّابقة «إلاّ أحوالا لغويّة تقتضيها هذه المعاني وتتطلّب وقوعها في الكلام على الوجه دون الوجه، والمعاني صاحبة السّلطان على هذه الفنون، هي الملك في عالم النص وهي المالكة زمامها والمتصرّفة في شؤونها وهي التي ترسل على سجيّتها فلا تكتسي إلاّ ما يليق بها»[3] ومن خلال هذا نلفي أسبقيّة المعنى على اللّفظ وسنوضّح ذلك فيما بعد.

[1] عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص389.

[2] المصدر نفسه. ص 312.

[3] محمد محمد أبو موسى. مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني. مكتبة وهبة. القاهرة. ط1. 1998. ص151.

2.2.قضية أسبقية المعنى على اللفظ عند عبد القاهر الجرجاني:

آمن عبد القاهر الجرجاني بأنّ فضيلة الكلام راجعة إلى المعنى دون اللّفظ وأنّها لا تكون من حيث أجراس الحروف وإيقاعها فقط، بل ترجع هذه الفضيلة إلى إعمال العقل مع الاستعانة بالفكر، وهذه إشارة إلى أنّ المعاني سابقة للفظ، وكون المعاني نابعة من العقل المجرّد فقد تكون الألفاظ عاجزة عن بيان ما في النّفس من معاني.

وفي هذا الأمر يقول أبو حيّان التوحيدي (ت400هـ): «إنّ مركّب اللّفظ لا يجوز مبسوط المعنى، والمعاني معقولة ولها اتّصال شديد وبساطة تامة وليس في قوّة اللّفظ في أيّة لغة كان أن يملك ذلك المبسوط ويحيط به وينصب علمه سورا»[1] فاللفظ محدود والمعاني مبسوطة حسب هذا القول.

كما أشار أبو العبّاس المبرد (ت285هـ) إلى قصور اللّفظ عن التّعبير عن المعنى وذلك بقوله: «...فأجعل المعنى الذي أقصده نصب عيني، ثمّ لا أجد سبيلا إلى التّعبير عنه بما أرتضيه، ولقد بلغني يوما أنّ عبيد الله بن سليمان ذكرني بجميل، فحاولت أن أكتب إليه رقعة أشكوه فيها، وأعرض ببعض أموري فأتعبت نفسي يوما في ذلك، فلم أقدر على ما أرتضيه فكنت أحاول الإفصاح عما في ضميري فينحرف لساني إلى غيره»[2].

وقد شبّه عبد القاهر الجرجاني وضع اللفظ الموافق للمعنى بالنّسج والتّحبير، ورأى أنّ البلاغة والفصاحة هي أوصاف راجعة إلى المعاني، وسبيل هذه المعاني مثل سبيل الأصباغ والنقوش.

---

[1] أبو حيان التوحيدي. الإمتاع والمؤانسة ج1. تح محمد خلف ومحمد زغلول سلام. دار المعارف. مصر. ط1. 1424هـ. ص126.

[2] ضياء الدين بن الأثير. الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام المنثور. تح/ مصطفى جواد. مطبعة المجمع العلمي. العراق. د/ط. 1375هـ. ص22.

فالصّورة تنطق بما احتوته من معان، وهذه الصورة تعبّر عمّا فيها من لمسات بيانيّة، والحال كذلك مع النّظم الذي يتواصفه البلغاء والخطباء، والذي يربط المعنى واللّفظ وحسن الدّلالة، إذ يقول: «تري الرّجل قد تهدّى إلى الأصباغ التي عمل فيها الصّورة والنّقش في ثوبه الذي نسجه إلى ضرب من التّخيّر والتّدبّر في أنفس الأصباغ، وفي مواقعها ومقاديرها وكيفيّة مزجه له وترتيبه إيّاها إلى ما لم يهتد إليه صاحبه، فجاء نقشه من أجل ذلك أعجب وصورته أغرب، كذلك حال الشّاعر والشّاعر في توخّي معاني النحو»[1].

إذ حاول الجرجاني الرّبط بين اللّفظ والمعنى بما سمّاه النّظم، ولا يظهر تميّز كلام عن كلام إلاّ بالنّظم والذي هو توخّي معاني النّحو.

وقد وضّح الجرجاني فكرة أنّ المعاني سابقة للألفاظ بقوله: «النّظم موجود في المعاني ما لم تنظم الألفاظ ولم ترتبها على الوجه الخاص، قبل أن تنظر أن تتصور أن تكون معتبرا مفكّرا في حال اللّفظ مع اللّفظ حتى تضعه بجنبه أو قبله، واعلم أنّ ما ترى أنّه لابدّ منه من ترتيب الألفاظ وتواليها على النّظم الخاص ليس هو الذي طلبته بالفكر، ولكنّه شيء يقع بسبب الأوّل ضرورة من حيث إنّ الألفاظ إذا كانت أوعية للمعاني فإنّها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها»[2].

فلفظة الأوعية للألفاظ تعني أن هناك شيئا سابقا لها، فيفرغ فيها إفراغا ليظهر، وهذا دليل على أسبقيّة المعنى على اللفظ.

والأديب أو أي كاتب حين يكتب لا يفكر في الألفاظ ولكن في المعنى، فإذا وجد المعنى فاللفظ يتبعه ويكون معه وإزاءه، فإذا كان ترتيب المعنى في الذّهن أولا يكون ترتيب الحروف عند النّطق ثانيا.

[1] عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص65.

[2] المصدر نفسه. ص175.

هذا ما بيّنه عبد القاهر الجرجاني إذ يقول: « لا يتصوّر أن تعرف للّفظ موضعا من غير أن تعرف معناه، ولا تتوخّى في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ترتيبا ونظما، وأنّك تتوخى التّرتيب في المعاني وتعمل الفكر هناك، فإذا تمّ لك ذلك أتبعتها الألفاظ وقفوت بها آثارها وأنّك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك، لم تحتج إلى أن تستأنف فكرا في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتّب لك بحكم أنّها خدم للمعاني، وتابعة لها، ولاحقة بها»[1].

باعتبار أنّ عملية التفكير تتمّ داخل الذّهن فإذا حصلنا على المعنى الذي نريده ألصق به اللفظ ضرورة، لأنّ الألفاظ أوعية للمعاني كما ذكرنا هذا سابقا، كما أنّ اللّفظ لا يحتاج إلى إعمال فكر أثناء النّطق، ويتجلّى لنا من خلال هذا، القول بأسبقيّة المعنى على اللفظ.

[1] عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص43.

ثالثا: ماهية النظم عند عبد القاهر الجرجاني:

1.3.مفهوم النظم لغة واصطلاحا:

النَّظم عند الزُّبيدي(ت1205ه) هو: «التَّأليفُ وضمُّ شيءٍ إلى شيءٍ آخر، وكلُّ شيءٍ قَرَنتَهُ بآخر فقد نَظَمتَهُ، والنَّظمُ (المنظُومُ) باللُّؤلؤِ والخَرز وصفٌ بالمَصدر، يقال: نَظْمٌ من لؤلؤٍ (ونظَمَ اللُّؤلُؤ ينظِمُهُ نَظمًا ونِظامًا) ونَظَمهُ تَنظِيماً ألَّفهُ وجَمَعهُ في سِلكٍ فانْتَظَمَ، ومنه نَظَمتُ الشِّعر ونَظَمَ الأمرَ على المِثلِ وله نَظمٌ حسَنٌ، ودُرٌ منظُومٌ ومُنَظَّم... ونَظْمُ القرآن لَفْظُهُ، وهي العِبارةُ التي تَشتَملُ على المصَاحفِ صِيغةً ولُغةً»[1] فالنظم هنا يدل على ربط عنصر ما بآخر على نسق معين ومنظم.

والنَّظمُ عند الفيروز آبادي(ت817ه): «هو التَّأليفُ وضمُّ شيءٍ إلى شيءٍ آخر، والمَنظُومُ والجمَاعةُ من الجرَادِ...ونَظمَ اللُّؤلُؤَ ينظِمُهُ نَظمًا ونِظَامًا، ونَظَّمهُ، ألَّفهُ، وجَمَعهُ في سِلْكٍ فانْتَظَمَ وتَنَظَّمَ، والنِّظامُ كلُّ خَيطٍ يُنظَمُ به لُؤلُؤٌ ونحوهُ...ج: أنظِمَة وأنَاظيم ونُظُمٌ، والسِّيرَةُ، والهَديُ، والعَادَةُ»[2] أما النظم حسب هذا القول فهو الجمع بين عناصر منفردة وضم بعضها إلى بعض لتتحد وتنتظم.

وقال الجوهري(ت393ه): «نَظَمتُ اللُّؤلُؤ أي جَمَعتُهُ في السِّلكِ والتَّنظيمُ مثلهُ ومنه نظَمتُ الشِّعر ونظَّمتُهُ، والنِّظَامُ الخَيطُ الذي يَنظِمُ به اللُّؤلُؤ ونَظْمٌ من لُؤلُؤ، وهو في الأصلِ مَصْدَرٌ والانتِظَامُ السِّياقُ»[3] ويشترك معنى هذا التعريف مع معنى التعريفات السابقة في كون النظم مبنيا على الجمع والضم على نحو سياق معين.

---

[1] أبو الفيض الزبيدي. تاج العروس من جواهر القاموس مادة(نظم). دار الهداية. الكويت. د/ط. د/ت. ص496-499.

[2] محمد بن يعقوب الفيروز آبادي. القاموس المحيط مادة(نظم). مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. ط8. 2005. ص1162.

[3] إسماعيل بن حماد الجوهري. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية مادة (نظم). تح. أحمد عبد الغفور عطار. دار العلم للملايين. بيروت. ط4. 1987. ص2041.

وقال الزَّمخشري(ت538هـ): «نَظَمتُ الدُرَّ ونظَّمتُهُ، ودُرٌّ منظُومٌ ومُنَظَّمٌ، وقد انتَظَمَ وتَنَظَّمَ وتَنَاظَمَ، ولهُ نَظْمٌ من نِظَامٍ، ومن المَجازِ نَظْمُ الكَلامِ، وهذا نَظمٌ حسَنٌ وانتظَمَ كلامُهُ، وأمرُهُ، قال الأفوه الأزدي:

تخَلّى الجَمَاجم والأكفّ سُيوفُنا ورماحنا بالطّعن تَنتظِم الكلى

وهذان البيتان ينتظمهما معنى واحد»[1]

وفي المعاجم المعاصرة وردت لفظة(نظم) بمعنى: «انتَظَمَ، ينتَظِمُ، انتِظامًا، فهو مُنتَظِمٌ والمفعول مُنتَظمٌ فيه، انتَظَمَ العِقدُ، تآلفَ واتَّسقَ...انتَظمَ الأمرُ، استقامَ، ونَظَمَ ينظِمُ ونِظامًا فهو ناظِمٌ، والمفعولُ منظُومٌ ونَظَّمَ الأشياءَ ألَّفها، وضمَّ بعضها إلى بعضٍ في صورةٍ مرتَّبةٍ ونَظَمَ أمرهُ، أقَامَهُ ورتَّبَهَ، نَظَمَ شعرًا، ألَّف كلاما موزونًا مُقفًّى»[2].

أما النَّظمُ في الاصطلاح فهو: «تأليفُ الكلماتِ والجُمل، مترتّبة المعاني متناسبة الدَّلالات على حسب ما يقتضيه العقل، وقيل الألفاظ المترتّبةُ المسوقة المعتبرة، دلالات على ما يقتضيه العقل»[3] وهي فكرة مقاربة لفكرة عبد القاهر الجرجاني في توخي معاني النحو التي يقتضيها العقل.

تدلّ التّعريفات السّابقة على أن النّظم هو التّأليف والجمع، وضمّ شيء إلى شيء وتقترب من نظم الألفاظ أكثر من نظم المعاني، أمّا الزمخشري فيرى أنّ النّظم هو نظم المعاني، ويقترب مفهوم الزمخشري من مفهوم عبد القاهر الجرجاني في أن النظم نظم المعاني فيما بين الكلم، قبل نظم الألفاظ.

[1] أبو القاسم الزمخشري. أساس البلاغة ج2 مادة (نظم). تح محمد باسل عيون السود. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط1. 1988. ص284.

[2] أحمد مختار عمر. معجم اللغة العربية المعاصرة ج3. مادة (نظم). عالم الكتب. بيروت. ط1. 2008. ص2235/2237.

[3] أبو الحسن الشريف الجرجاني. التعريفات. دار الكتب العلمية. لبنان. ط1. 1983. ص242.

وتختلف دلالات التّأليف والتّرتيب والنّظم عند أبي هلال العسكري(ت395هـ) إذ يقول: «أنّ التّأليف يستعمل فيما يؤلّف على استقامة أو على اعوجاج، والتّنظيم والتّرتيب لا يستعمل فيما يؤلّف على استقامة أو على اعوجاج، ولا يستعملان إلاّ فيما يؤلّف على استقامة، ومع ذلك فإنّ بين التّرتيب والتّنظيم فرقا وهو أنّ التّرتيب هو وضع الشيء مع شكله، والتّنظيم هو وضعه مع ما يظهر به، ولهذا استعمل النظم في العقود والقلائد، لأنّ خرزها ألوان يوضع كل شيء منها مع ما يظهر به لونه»[1] رغم تقارب دلالات النظم والترتيب والتأليف إلا أن هناك فروقا جوهرية بينها كما وضحه قول العسكري.

[1] أبو هلال العسكري. الفروق اللغوية. تح محمد إبراهيم سليم. دار العلم والثقافة. مصر. د/ط. د/ت. ص148.

2.3.النظم قبل عبد القاهر الجرجاني:

كان لنظم القرآن أثر عجيب في نفوس العرب المعروفين بالبلاغة وحسن البيان فبحثوا عن تفسير هذا الأثر العجيب له، وقارنوه بما كان متعارفا عندهم من الأشعار والأرجاز فوجدوه مختلفا وفي أعلى درجة من الفصاحة والبيان.

وكذلك الأمر من حيث نظمه، إذ إنّ «طريقة نظم القرآن تجري على استواء واحد في تركيب الحروف، باعتبار من أصواتها ومخارجها، وفي التّمكين للمعنى، بحسن الكلمة وصفتها، ثمّ الافتنان فيه بوضعها من الكلام، وباستقصاء أجزاء البيان وترتيب الكلمات، لا يتفاوت ذلك ولا يختل»[1].

وقد زادهم نظم القرآن تربية لأذواقهم في تمييز الكلام الحسن «وهو الذي حفظ لغتهم وأعلى شأنها، ثمّ صفّى طبائع البلغاء بعد الإسلام وتولى تربية الذّوق الموسيقي اللّغوي فيهم حتى كان لهم من محاسن التّركيب في أساليبهم مما يرجع إلى تساوق النظم، واستواء التأليف ما لم يكن مثله للعرب من قبلهم...ولولا القرآن وهذا الأثر من نظمه العجيب، لذهب العرب بكل فضيلة في اللّغة ولم يبق بعدهم للفصحاء إلاّ كما بقي من بعد هؤلاء في العاميّة بل لما بقيت اللّغة نفسها»[2].

فما كان من العرب إلاّ أن شغلوا أنفسهم وبحثوا في نظم القرآن، وذلك بداية من سيبويه (ت180ه) ثم أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت209ه) وتلاهم يحي بن زياد الفراء (ت207ه) بالإضافة إلى الجاحظ (ت255ه) والذي يرى بأنّ النّظم «ضمّ لفظ إلى لفظ

[1] مصطفى صادق الرافعي. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية. تح/ درويش الجويدي. المكتبة العصرية. بيروت. د/ط. 2003. ص171.

[2] المرجع نفسه. ص153.

بناء على تناسق دلالة الألفاظ، وتلاقي معانيها على الوجه الذي يقتضيه العقل»[1]، وهذا النظم عند الجاحظ يشبه النّظم الذي تحدّث عنه عبد القاهر الجرجاني إلى حد ما.

وقد فرّق الجاحظ بين نظم القرآن وبين نظم سائر الكلام وبيّن أنه لا يمكن معرفة تلك الفروقات إلاّ بمعرفة الشّعر والكلام المنثور من الخطب والرّسائل، أي بمعرفة بلاغة العرب في كلامهم.

أمّا ابن قتيبة الدينوري(ت276ه) فتحدّث عن النّظم العربي من خلال نظم القرآن الكريم خاصّة، إذ جعل القرآن الكريم معجزا بتأليفه البديع ونظمه العجيب من وجوه عدّة نذكر منها، الإيجاز إذ يقول فيه: «وجمع الكثير من معانيه في القليل من لفظه وذلك معنى قول رسول الله أوتيت جوامع الكلم، ثم يقول: إن شئت أن تعرف ذلك، فتدبّر قول الله تعالى:﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف:199] كيف جمع له بهذا الكلام كل خلق عظيم»[2] ثم قارن بين إيجاز النّظم القرآني والإيجاز في سائر الكلام، فاتّضح تفوق النّظم القرآني على بقيّة النظوم الأخرى.

وقال كلثوم بن عمرو العتابي (ت208ه) : «الألفاظ أجساد والمعاني أرواح، وإنّما تراها بعيون القلوب، فإذا قدّمت منها مؤخرا أو أخّرت منها مقدما، أفسدت الصّورة وغيرت المعنى كما لو حُوّل رأس إلى موضع يد أو يد إلى موضع رجل، لتحوّلت الخلقة»[3]، أي أنّ النظم يتمثّل في حسن ترتيب الألفاظ وتناسق دلالتها تناسقا لا إخلال فيه، واللّفظ والمعنى حسب هذا الطرح متّصلان ويخدم بعضهما بعضا.

---

[1] عبد العزيز عبد المعطي. من بلاغة النظم العربي. عالم الكتب. بيروت. ط2. 1984. ص13.

[2] ابن قتيبة أبو محمد عبد الله . تأويل مشكل القرآن. تح/ أحمد صقر. مكتبة دار التراث. القاهرة. ط2. 1393ه. ص03.

[3] أبو هلال العسكري. الصناعتين. تح/ علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل. المكتبة العنصرية. بيروت. 1419. ص163.

أمّا أبو هلال العسكري فتكلّم عن حسن التأليف ودوره في وضوح المعنى، ولكنّه لم يفسره كما فسّره عبد القاهر الجرجاني بعده، حيث يقول: «وحسن التّأليف يزيد المعنى وضوحا وشرفا، ومع سوء التّأليف، ورداءة الرّصف والتّركيب، شعبة من التّعمية»[1] وشبّه النّظم بالعقد، إذا اختلت منه خرزة بأن تقع في غير موضعها مثلا، سيختلّ معها النّظم كلّه ويأتي بذلك مشوّها وغير متناسق، وكلّما كانت كلّ خرزة في مكانها وموقعها كلّما كان ذلك أبهى وأزين.

أمّا أبو سليمان الخطابي (ت388هـ) فالّنظم عنده يتكون من «لفظ حامل ومعنى به قائم ورباط لهما ناظم، وإذا تأمّلت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشّرف والفضيلة حتى لا ترى شيئا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظما أحسن تأليفا وأشدّ التئاما وتشاكلا من نظمه»[2].

فالنّظم عنده يكون ب"لفظ حامل" بأن توضع الألفاظ في مواضعها الخاصّة بها، لأنّ بعض الألفاظ تتقارب في الدّلالة على المعنى، وإذا ما وضع لفظ محل لفظ آخر مقارب له تغيّر المعنى وداخله الفساد، بالإضافة إلى أنّ المعاني تحتاج إلى معاناة وجهد وتكلّف لأنّها نتاج العقول، فوجد أن النّظم يكون بين اللفظ والمعنى.

وربط أبو الحسن الرماني(ت384هـ) البيان بحسن النّظم، إذ يقول معرفا البيان: «وحسن البيان في الكلام مراتب، فأعلاها مرتبة ما جمع أسباب الحسن في العبارة، من

[1] أبو هلال العسكري. الصناعتين. ص121.

[2] الرماني – الخطابي –الجرجاني. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن. تح /محمد خلف الله –محمد زغلول سلام. دار المعارف. مصر. ط3. 1976. ص27.

تعديل النظم حتى يحسن السمع ويسهل على اللسان، وتتقبله النفس تقبل البرد، وحتى يأتي على مقدار الحاجة فيما هو حقه من الرتبة»[1].

يفهم من كلام الرّماني أنّه يشير إلى الافتنان في القول من خلال الصّياغة الحسنة لألفاظ العبارة، وتعديل النّظم بأن يطابق اللفظ المعنى ومقتضى الحال وذلك عندما قال "يأتي على مقدار الحاجة"، وغاية البيان عند الرماني هي إبراز المعنى في صورة حسنة موافقة للحال لا تكلف فيها ولا تقصير.

أمّا القاضي عبد الجبار(ت415هـ) فتناول الحديث عن الكلام باعتبار ضم كلمة إلى كلمة، لا أجزاء الكلام مفردا، وفي ذوات المفردات «فالميزة البلاغيّة أو الفصاحة لا تتعلّق بالألفاظ من حيث ذواتها، أي لا تكون فصيحة في نفسها؛ وإنّما تكون فصيحة بملاحظات صفات مختلفة لها، كالإبدال التي تختصّ به وحركاتها في الإعراب، وموقعها في التّقديم والتّأخير أو بمعنى آخر، تكون الكلمة فصيحة بملاءمتها لجاراتها وتعلّقها بأخواتها وارتباطها بهم...ومنه تؤدّي دورا يزيد المعنى المراد وضوحا ويمكّنه في نفس المتلقّي»[2].

فالدّور المهم في الفصاحة عند عبد الجبّار هو في تقفّي أثر المعاني ووضع الألفاظ المناسبة لها، بالإضافة إلى حسن التّأليف لأنّه يزيد المعنى وضوحا في رأيه، وقد تناول أجزاء الكلام بالشّرح والتّفسير وهو الذي فتح الباب أمام عبد القاهر الجرجاني لوضع نظريّته في النّظم، حسب ما توصّل إليه الباحثون المتقدمون.

[1] أبو الحسن الرماني. النكت في إعجاز القرآن. تح /محمد خلف الله، محمد زغلول سلام. دار المعارف بمصر. ط3. 1976. ص107.

[2] القاضي عبد الجبار. المغني في أبواب التوحيد والعدل ج16. تح/خضر محمد نبها. دار الكتب العلمية. لبنان. د/ط. 1971. ص119.

ونختم بأبي بكر الباقلاّني(ت403هـ) الذي يقول في النّظم: «ولقد كان نظم القرآن معجزا لأن نظمه خارج عن جميع وجوه النظم المعتادة في كلامهم، ومباين لأساليب خطابهم ومن ادعى ذلك فلا بد له أن يصحح أنه ليس من قبيل الشعر ولا السجع ولا الكلام الموزون غير المقفى»[1] فحاول الباقلاني بيان ميزة نظم القرآن وإزالة الإبهام عن البلاغة ولكنّه غلب عليه الجدال وصرفه عن الطّريق الواضح ليأتي عبد القاهر الجرجاني ويبني على آراء هؤلاء نظرية النظم بمعناه الجديد كما سنرى فيما بعد.

[1] أبو بكر الباقلاني. إعجاز القرآن. تح/ أحمد صقر. دار المعارف. مصر. د/ط. د/ت. ص75.

3.3.النظم عند عبد القاهر الجرجاني:

يحاول عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز الإشارة إلى تفصيل القول في المزيّة التي يكون بها الكلام كلاما وذلك «مجموع تحت فكرة واحدة تدور حول كشف موطن سر بلاغة الكلام؛ أو مرجع مزيته»[1] وعليها أشغل فكره.

حيث يرى عبد القاهر الجرجاني أنّ هذا النظم الذي يتحدّث عنه البلغاء هو عبارة عن صنعة مبنيّة على الفكر، والمعاني يستعان عليها بالفكر، وهذا ما سعى إلى إثباته منذ بداية كتاب دلائل الإعجاز، حيث نجد إشارات ومقدّمات لما هو بصدد تفصيله وشرحه لقضيّة النظم، فبعد البحث والتّنقيب وطول المراجعة لما قاله العلماء، لاحظ شيئا مهمّا يحتاج إلى تفسير، فكان يجد ذلك كالإشارة في خفاء وكالرّمز والإيماء، ثمّ توصّل بعد طول تفكّر إلى إيجاد المزية التي جعلت القرآن معجزا وهو على « الجملة بحث ينتقي لك من الإعراب خالصه ولبه، ويأخذ لك من أناسي العيون وحبات القلوب، وما لا يدفع الفضل فيه دافع ولا ينكر رجحانه في موازين العقول منكر»[2].

ورغم أنّ القاضي عبد الجبّار قد برع في النحو كما بين ذلك بعض الدارسين، إلا أنه لم يفسر القرآن انطلاقا من معاني النحو كما فعل الجرجاني، مما غيّب عنه دقائق وأمورا كثيرة وهذا «الأمر الذي حفز عبد القاهر الجرجاني للرد على المعتزلة في شخص القاضي عبد الجبّار، مبيّنا أنّ هؤلاء القوم لو أنّهم إذ تركوا هذا الشّأن أي (علم النّحو) تركوه جملة وإذ زعموا أنّ المفتقر إليه القليل منه، اقتصروا على ذلك القليل، فلم يأخذوا أنفسهم

[1] محمد محمد أبو موسى. مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني. ص94.

[2] عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص34.

بالفتوى فيه والتصّرف فيها... ولكنهم لم يفعلوا، فجعلوا الدّاء واحدا»[1] مشيرا هنا إلى أهمّية علم النّحو في تأويل القرآن الكريم وإلى ضرورة تحصيله قبل الخوض في الفتوى والتفسير.

كما بيّن عبد القاهر الجرجاني أنّ إعجاز القرآن لا يمكن في فصاحة الألفاظ، ولا في استعمال الغريب منها، أي ما يتعلّق بظاهر اللّفظ فقط، لأنّ طريق ذلك الحفظ ولا يحتاج إلى فكر، ولما جعل الأشاعرة عموما النّظم أساسا لمعرفة ذلك الإعجاز كان السّبب «هو أنّهم رأوا أنّ القرآن عندما تحدى العرب وعجزوا عن معارضته، قالوا تارة أنّه شعر وتارة أنّه سحر، أمّا قولهم إنّه شعر فلأنّهم رأوه منظوما، ولكنّه نظم مخصوص»[2].

فتوصّل عبد القاهر الجرجاني إلى أنّ النظم فقط هو الذي نستطيع أن نفسّر به إعجاز القرآن الكريم.

ويدخل مصطلح النظم عند الجرجاني في معناه الكلي للدّلالة على نسق أجزاء الجملة حسب ما يقتضيه النّحو والمعنى في كلّ موضع وحسب الأغراض، ويعتبر مزجا بين النّحو والمعنى، فأطلق عليه مصطلح "معاني النحو".

وفسّرها بأنّها المعاني التي تحدث بعد النّظم، وتسبك سبكا واحدا وتصير كأنّها قطعة واحدة «وذلك أنك إذا قلت: ضرب زيد عمرا يوم الجمعة ضربا شديدا "تأديبا له" فإنك تحصل من مجموع هذه الكلم كلها على مفهوم هو معنى واحد لا عدة معاني كما يتوهّمها الناس، وذلك أنك لم تأت بهذه الكلم لتفيده في أنفس معانيها وإنّما جئت لتفيده وجوه التعلق التي بين الفعل الذي هو" ضرب" وبين ما عمل فيه، والأحكام التي هي محصول التعلق»[3].

[1] حسن بن عبد الرزاق. دلائل الإعجاز بين أبي سعيد السيرافي والجرجاني. ص19.

[2] المرجع نفسه. ص28.

[3] عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص282.

يفهم من هذا القول أنّ النظم في الجملة يظهر من مجموع تعلق الكلمات مع بعضها البعض حتى تصير كأنها كلمة واحدة، من حيث ارتباطها بالمعنى وليس بالأحكام النحوية فقط، بأن يكون هذا مسندا وذلك مسندا إليه، لأنّ ذلك لا يكفي لظهور المعنى الكلّي للجملة.

وهذا ما بيّنه عبد القاهر الجرجاني إذ يقول: «وإذا كان ذلك كذلك بان منه وثبت أنّ المفهوم من مجموع الكلم، معنى واحد لا عدّة معاني وهو إثباتك زيدا فاعلا لعمرو في وقت كذا وعلى صفة كذا ولغرض كذا، ولهذا المعنى تقول إنّه كلام واحد»[1].

وتعود قيمة النّظم بالنّسبة إلى عبد القاهر الجرجاني للكلم المنظومة لا الحروف المنظومة لأنّ هذه الأخيرة ما هي إلا أصداء أصوات، ونظم حروفها يكون بتوالي النطق وليس فيها إعمال عقل أو اقتضاء معنى، فلو أنّ قائل سرب مكان رسب لما كان في ذلك شيء يغير المعنى، لأن معناه متواضع عليه فقط.

أمّا بالنّسبة لنظم الكلمات فالأمر مختلف لأنّ فيها اقتفاء لآثار المعاني، وخاضعة لترتيبات معينة لا تخرج عنها إلاّ حين العدول كالتقديم والتأخير مثلا، وهو الأمر الذي يحتاج إلى مهارة وحذق، والفرق بعد هذا يظهر في أنّ الغرض من النّظم لا يكمن في الحروف، بل في الدّلالات التي تحدث من نظم الكلمات وفق ما يقتضيه العقل، وكلمة العقل توحي بترك ظواهر الأمور، وتجاوز ذلك إلى التوغل في أعماق دلالات الكلمات.

ويستند النّظم في أثناء انتظامه إلى توخي معاني النحو «ومحصول ذلك أنك تعمد إلى اسم فتجعله فاعلا لفعل أو مفعولا، أو تعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبرا عن الآخر

[1] عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز ص282.

أو تتبع الاسم اسما على أن يكون الثّاني صفة أو حالا أو تمييزا؛ أو تتوخّى في كلام هو لإثبات معنى أن يصير نفيا أو استفهاما أو تمنّيا»[1].

وهي كما نرى أحكام علم النّحو المتعارف عليها، وهذه تعتبر مرحلة التّركيب الأولى وهي التي يتميز بها شاعر عن شاعر وكاتب عن كاتب في كيفية انتقاء الكلمات المناسبة للمقام المناسب.

وقد عمل عبد القاهر الجرجاني على تفسير الكلام تفسيرا نحويا في استخراج المعاني كما يلاحظ من خلال الأمثلة التي يطرحها من ذلك «قول امرئ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

فإنه حسن بما حسن من حيث نطق بالكلم وسمعت ألفاظه من فيه، أترى أنّه يتصوّر أن يجب للألفاظ الكلم التي تراها، هذا التّرتيب من غير أن يتوخّى في معانيها ما تعلم أنّ امرأ القيس توخّاه من كون "نبك" جوابا لأمر، وكون "من" معدية له إلى "ذكرى" وكون "ذكرى" مضافة إلى "حبيب" وكون "منزل" معطوفا على حبيب»[2] ولو أخللنا بتوازن البيت وترتيبه وقلنا نبك قفا حبيب منزل من ذكرى لما ظهر أي معنى، وبهذا يكون سر توخي معاني النحو الذي لمّح إليه عبد القاهر الجرجاني كثيرا.

وانتهى عبد القاهر الجرجاني إلى أنّ إعجاز القرآن الكريم في نظمه إذ يقول «فإذا ثبت الآن أن لا شك ولا مرية في أن ليس النظم شيئا غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم، ثبت من ذلك أنّ طالب دليل الإعجاز من نظم القرآن، إذا هو لم يطلبه في معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه، ولم يعلم أنها معدنه ومعانه وموضعه ومكانه، وأنه

[1] عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز ص43.

[2] المصدر نفسه. ص249.

لا مستنبط له سواها وأن لا وجه لطلبه فيما عداها، غار على نفسه بالكذب من الطمع ومسلم لها بالخدع»[1].

فالنّظم بشكل مبسّط هو طريقة تركيب الجمل باختيار المفردات أوّلا بناء على معاني النّحو، والألفاظ لا تؤدّي معنى أو غاية مفردة ومستقلّة بنفسها إلاّ بتموقعها في الموضع الأنسب لها داخل التركيب.

وقد ذكر عبد القاهر الجرجاني أمثلة عن عدم إمكانية تحقّق المعاني بالألفاظ مفردة مثل كلمة، "السبع" و"الليث" وأنّه يستحيل التّفريق بينهما مفردتان لأنّهما اسمان لحيوان واحد فكيف يتفاضلان؟.

ولتوضيح الأمر أكثر استشهد عبد القاهر الجرجاني بقوله تعالى«: ﴿ **وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾[هود:44]، في الآية من دقّة والتّصوير والتّرتيب ما يبهر ويعجز والأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض، وأن لاقت الثّانية بالثّالثة، والثّالثة بالرّابعة وإن شككت فتأمّل هل ترى لفظة منها بحيث لو أخذت من بين أخواتها وأفردت، لأدّت من الفصاحة ما تؤديه به وهي في مكانها من الآية، قل ابلعي واعتبرها وحدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها وما بعدها وكذلك فاعتبر سائر ما يليها»[2].

من خلال ما سبق نلحظ أنّ النّظم عند عبد القاهر الجرجاني متعلّق بالانسجام الخفيّ بين الكلمات، ويتجلّى النّظم في ارتباط الكلم بعضها ببعض، فتغدو العبارة بذلك كأنّها كلمة واحدة.

[1] عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز ص362.

[2] المصدر نفسه. ص36.

أولا: الأسس الإيستمولوجية لعلم المعاني:

1.1.الإعجاز القرآني وعلاقته بعلم البلاغة.

ثانيا: أساس علم المعاني:

1.2.علم المعاني عند علماء القرن الثاني والثالث الهجري.

2.2. علم المعاني عند علماء القرن الرابع والخامس الهجري.

ثالثا: علاقة علم المعاني بعلم النحو عند عبد القاهر الجرجاني:

1.3.التقديم والتأخير.

2.3.الفصل والوصل.

3.3.التعريف والتنكير.

لم يكن علم المعاني معروفا عند الأوائل ممّن تناولوا دراسة بلاغة القرآن الكريم بهذا الاسم أو كعلم قائم بذاته، وتعود نشأة هذا العلم إلى محاولة الكشف عن سرّ إعجاز القرآن الكريم من جهة الأساليب التي خالفت القاعدة المتعارف عليها، من ناحية التراكيب، ومن خلال الملاحظات التي طالت الخطاب القرآني تبيّن لدى الدّارسين أنّ النص القرآني خارج عن المألوف ما أدّى إلى «تعارض بين القاعدة القياسيّة والنّص الخارج عن القياس»[1].

وقد أدّى هذا التّعارض مع القياس المطّرد آنذاك إلى استنهاض الهمم وإعمال الفكر لمعرفة سبب هذا التّعارض، مع محاولة الكشف عن العلّة الكامنة وراء ذلك، فكان أن فتح باب التوسّع في اللّغة، بداية مع سيبويه ثمّ أبو عبيدة واتّبعه بعد ذلك الفراء...وهكذا.

وقد كانت مسائله مختلطة ومتداخلة مع البلاغة ككل دون فاصل بينهما، إلى أن أخذت منحى التشكّل والتخصّص، حيث وصل كلّ من علمي المعاني وعلم البيان إلى طور النّضج مع عبد القاهر الجرجاني، أمّا علم البديع فيعود إلى ابن المعتزّ.

وعلى الرّغم أنّ مصطلح " علم المعاني لم يرد عند عبد القاهر بهذا المسمّى، إلاّ أنّ أوّل من استعمله هو أبو يعقوب السّكاكي(ت626هـ).

وقد وردت عبارة " معاني النحو" في كتاب دلائل الإعجاز وهي تلخّص محتوى هذا العلم، ولعلّ عبارة "معاني النحو" تعود إلى أبي سعيد السيرافي ومناظرته الشّهيرة مع أبي بشر متّى بن يونس في مجلس الوزير أبي الفتح بن جعفر بن الفرات، وهي أقدم إشارة إلى هذا العلم كما دلّلت على ذلك بعض دراسات الباحثين، وقد عرّفه الخطيب القزويني بأنّه «علم يعرف به أحوال اللّفظ التي به يطابق مقتضى الحال»[2].

---

[1] محمد العمري. البلاغة العربية أصولها وامتداداتها. ص21.

[2] جلال الدين القزويني. الإيضاح في علوم البلاغة ج1. تح/محمد عبد المنعم خفاجي. دار الجيل. بيروت. ط3. د/ت. ص52.

والمراد بأحوال اللفظ الهيئة التي يكون عليها بعد تشكّله في التّركيب الذي به يطابق مقتضى الحال من تقديم أو تأخير أو حذف، أو فصل أو وصل... وهي نفسها مباحث علم النّحو، والذي يبحث فيها من جهة الصّحة والفساد فقط، أمّا علم المعاني فيبحث فيها لبيان الأحوال التي ظهرت فيها المزية التي طابقت الأغراض والمقاصد.

وأبوابه ثمانية ذكرها القزويني وهي (أحوال الاسناد الخبري – أحوال المسند إليه– أحوال المسند–أحوال متعلقات الفعل – القصر–الإنشاء–الفصل والفصل–الإيجاز والإطناب والمساواة).

1.1.الإعجاز القرآني وعلاقته بالبلاغة:

كان من حكمة الله البالغة أن ينزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين على قوم اشتهروا ببلاغة القول وفصاحة اللّسان وبرعوا في ذلك كلّ البراعة ليقع عليهم التّحدي وتقوم الحجّة ويتحقّق الإعجاز، حيث كان العرب مغرمين بالبلاغة والفصاحة، وكانت لبعضهم براعة كبيرة في التّعبير بلغوا فيها كل مبلغ.

حتى أنّهم عبّروا عن المعنى الواحد بأساليب متنوّعة، «فما أن بدأ القرآن ينزل حتى غطّى على كل لون من بيانهم واستولى ببلاغته على النّفوس، فخرست ألسنة البلغاء وخففت أصوات الكهنة واقفرت أسواق الأدب، ولم يعد لهم حديث إلا عنه فتحيرت عقولهم فيه وذهبوا فيه كل مذهب»[1].

وكثرت الأقاويل حول سر هذا الكلام الذي باين كل كلام ألفوه وسمعوه، وتأثيره العجيب في كل من سمعه حتى الكفّار كالوليد بن المغيرة وغيره، ولم يتوقف عند العرب فقط بل وصل إلى الأعاجم أيضا وشهادات المستشرقين تشهد بذلك، منهم المستشرق الفرنسي مادريس(D. Madrés) قال في مقدمة ترجمته للقرآن الصادرة سنة 1926:« أمّا أسلوب القرآن فإنّه أسلوب الخالق جلاّ جلاله، فإن الأسلوب الذي ينطوي على كنه الكائن الذي صدر عنه هذا الأسلوب لا يكون إلّا إلهيا والحقّ الواقع أنّ أكثر الكتّاب ارتيابا أو شكا قد خضعوا لسلطان تأثيره»[2]

أمّا الوليد بن المغيرة «فقد روي أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: اقرأ، فقرأ عليه:﴿ ۞ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ**

[1] بغدادي بلقاسم. المعجزة القرآنية. ديوان المطبوعات الجامعية. الساحة المركزية. بن عكنون. الجزائر. د/ط. 1996. ص132.

[2] المرجع نفسه . ص132.

وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل:90] فقال: إنّ له لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّ أعلاه لمثمر، وما يقول هذا بشر»[1].

وقد كان العرب في صدر الإسلام الأول لا يواجهون مشكلة في فهم معانيه، «فلم يحتج السلف ولا الذين أدركوا وحيه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أن يسألوا عن معانيه لأنهم كانوا عرب الألسن فاستغنوا بعلمهم به عن المسألة عن معانيه، وعما فيه مما في كلام العرب مثله من الوجوه والتلخيص»[2].

فاشتغلوا بالتفكّر والتدبّر في معانيه، وقد كانوا مسلّمين بإعجاز القرآن الكريم دون الخوض في بيان سبب إعجازه أو التعمّق فيه، حتى أظهر إبراهيم بن السيّار النظّام (ت231هـ) مقولته بالصّرفة، ليردّ عليه الجاحظ بأن الأمر أجلّ وأعظم من ذلك، فألّف كتابا سمّاه الاحتجاج لنظم القرآن.

وتذكر المؤلّفات أنه فُقد ولم يوجد له أي أثر، ثم جاء بعدهم أبو عبد الله محمد بن يزيد الواسطي (ت255هـ) وهو أوّل من أنشأ كتابا يحمل لفظ إعجاز القرآن وأشار فيه أنّ إعجازه من جهة بلاغته.

[1] عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص403.

[2] أبو عبيدة معمر بن المثنى. مجاز القرآن ج1. تح/ محمد فؤاد سركين. مكتبة الخانجي. القاهرة. ط1. 1381هـ. ص08.

وتشكلت بعد ذلك فرق كلامية نتيجة الخلافات التي دارت بينهم حول قضية إعجاز القرآن الكريم" وقد خاض النّاس في ذلك كثيرًا فبين محسن ومسيء، «فزعم قوم أنّ التّحدي وقع بالكلام القديم الذي هو صفة الذات ... وقال آخرون ما تضمّنه عن قصص الأولين وسائر المتقدّمين ...وقال آخرون " ما تضمّنه من الإخبار عن الضّمائر من غير أن يظهر ذلك منهم بقول أو فعل، كقوله تعالى:﴿ **إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ [آل عمران:122] وقال القاضي أبو بكر: وجه إعجازه ما فيه من النّظم والتّأليف والترّصيف، وأنّه خارج عن وجوه النّظم المعتاد في كلام العرب ومباين لأساليب خطاباتهم»[1] وهذا الرأي مقبول وهو ما استقر عند العلماء فيما بعد.

وقال آخرون وجه إعجازه في الفصاحة والسلامة من جميع العيوب، وقال آخرون بأسلوبه العجيب فتضاربت الآراء واختلفت، وإن كانت صحيحة ولكن من جانب واحد فقط لا ينطبق على النّص القرآني كلّه.

وانتهوا في الأخير إلى أنّ بلاغته ونظمه المخصوص هو وجه إعجازه، حيث كانت هذه البلاغة في بداية نشأتها أمرا محسوسا ومتذوّقا، وقد «سئل أبو حيان التوحيدي: سئل بنذارة الفارسي عن موضع الإعجاز من القرآن فقال: هذه مسألة فيها حيف على المفتي وذلك أنّه شبيه بقولك ما موضع الإنسان من الإنسان؟ فليس للإنسان موضع من الإنسان بل متى أشرت إلى جملته فقد حقّقته ودلّلت على ذاته، وكذلك القرآن، لشرفه لا يشار إلى شيء منه إلا وكان ذلك المعنى آية في نفسه ومعجزة لمحاوله وهدى لقائله وليس في طاقة البشر الإحاطة بأغراض الله في كلامه وأسراره في كتابه ولذلك حارت العقول وتاهت البصائر عنده»[2].

[1] جلال الدين السيوطي. الإتقان في علوم القرآن. تح/ محمد نصر أبو جبل. الدار العالمية للنشر والتجليد. الأزهر. ط1. 2017. ص571-572.

[2] محمد فاروق النبهان. المدخل إلى إعجاز القرآن الكريم. دار عالم الكتب. سوريا. ط1. 2005. ص225.

فشكل بذلك إعجاز القرآن حيرة والتباسا في عقول أولئك النّاس ولم يستطيعوا تفسيرها آنذاك.

وقال " الخطابي «ذهب الأكثرون من علماء النظر إلى أن وجه الإعجاز فيه يكون من جهة البلاغة لكن صعب عليهم تفصيلها وصغوا إلى حكم الذوق والقبول عند النفس وقسم أجناس الكلام إلى درجات متفاوتة فمنها البليغ الرصين الجزل ومنها الفصيح القريب السهل ومنها الجائز الطلق الرسل، وهذه أقسام الكلام الفاضل المحمود...»[1].

وقد جمع القرآن الكريم كل صفات الكلام الحسن ولقد كان هذا القرآن «بما استجمع من ذلك هو علم البلاغة عند أولئك العرب الذين كانت البلاغة فيهم ذوقا محضا ثم صار بعدهم بلاغة هذا العلم في المولّدين وهو على ذلك ما بقيت الأرض، فكان العرب يتلقّون عنه البلاغة بوجدان الحاسّة اللّغوية، وإحساس الفطرة كما يتلقى أهل الفن الواحد قواعد النبوغ عن المثال الذي يخرجه لهم نابغة الفن»[2] .

وبدأت بوادر ظهور البلاغة مع أبي عبيدة والذي يعتبر أوّل من ساهم في بناء هذا الصّرح من خلال كتابه مجاز القرآن وذلك بسبب مسألة بلاغية في القرآن تتعلّق بالتّشبيه في الآية﴿ **طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ**﴾ [الصافات:64] ومن هنا انطلق البحث في أساليب العرب المستعملة ومعرفة الطّرق التي تسكلها في التّعبير، لفهم معاني القرآن الكريم التي نزلت على طريقة العرب، ويجب أن ننوّه إلى أنّ تأسيس هذه العلوم راجع إلى غاية واحدة وهي الحفاظ على بلاغة القرآن الكريم، وعلى سلامته من اللّحن.

فبدأت البلاغة بفكرة ونمت وتطورت عبر سلسلة من العلماء، يأخذ اللاّحق منهم عن السّابق أمثال: بشر بن المعتمر–الجاحظ–الرّماني–الخطابي–الباقلاني–وعبد القاهر الجرجاني.

[1] أبو سليمان الخطابي. بيان إعجاز القرآن. ص26.

[2] مصطفى صادق الرافعي. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية. ص174.

وبما أن الحديث في هذا سيطول سنحاول التّركيز على أهم مظاهر إعجاز القرآن الكريم البلاغية:

_الأول: يتمثل الإعجاز البلاغي في ثلاثة أشياء.

1-فصاحة الألفاظ

2-صحة المعاني.

3-نظم المعاني في أحسن نظوم التأليف وأشهر من قال بهذا هو الإمام الخطابي.

_الثاني: يتمثل في وجوه عديدة أطلق عليها اسم أبواب البلاغة، وهي (الإيجاز، التشبيه، الاستعارة، التلاؤم، الفواصل، التجانس، التصريف، التضمين، المبالغة، حسن البيان).

وأشهر من قال بهذا هو أبو عيسى الرماني وتعتبر آراؤه مرجعا هاما لمن آتى بعده من البلاغيين، «أما بالنسبة للاستدلال بها في الإعجاز فهناك من وافقه فيها مثل ابن أبي الإصبع المصري الذي أضاف أبوابا أخرى كثيرة وهناك من خالفه في بعضها مثل الباقلاني، لخّص الأبواب العشرة التي قالها الرماني ثم قسمها إلى قسمين:

1-يمكن تعلمه مثل التشبيه وهذا عنده لا سبيل إلى معرفة الإعجاز به وحده وإنما بوصله بكل ما في الآية من لفظ ونظم وتأليف.

2-ما لا سبيل إليه بالتعلم، وهذا يصح عنده أن يتعلق الإعجاز به مثل: الإيجاز والاستعارة، التلاؤم، الفواصل، البيان، التّضمين»[1] وهي من أهم جهات إعجازه لأنّ أغلب المفسرين أو الباحثين لا يمرون على آية من الآيات إلا وينبهون عليها.

[1] بغدادي بلقاسم. المعجزة القرآنية. ص258.

الثالث: ما يتعلق بالنظم وأشهر من قال بهذا كما هو معروف هو عبد القاهر الجرجاني فالإعجاز عنده لا يتمثل في الكلم المفردة ولا في المعاني المجردة ولا في نسق الكلمات ولا في المقاطع والفواصل ولا في ضروب المجاز في ذاتها، وإنّما في النظم ويكون في معاني النحو وإتيان المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته ووضع اللفظ في الموضع الذي يقتضيه المقام.

ويعتبر بذلك الجرجاني هو المؤسس لعلم البلاغة والمرسي دعائمها وكل الأبواب المتعلقة بالبلاغة بعده ترجع إليه، ويعتبر كذلك المرجع الأوّل للباحثين في البلاغة، ولم يضف أحد على ما قاله عبد القاهر الجرجاني إلا بعض التّصنيفات والتبويبات لهذا العلم ولعلّ السكاكي هو أوّل من صنف أبواب هذا العلم وتبعه من بعده " القزويني" ...وغيره وبقيت شروحاته إلى يومنا هذا.

ثانيا: أساس علم المعاني :

شكّل علم النحو عند عبد القاهر الجرجاني مفهوما آخر غير ما كان معهودا عليه قبله، حيث أعاد فيه صياغة علم النحو صياغة جديدة بثت فيه روح الحياة، إذ كان النحو قبله مقتصرا على القواعد النحوية والحركات الإعرابية فكان أن وسع مجاله فربطه بالمعنى والمعنى شيء لا يمكن حصره فانفتح علم النحو على مصراعيه بعدما كان مقتصرا على قواعد صارمة ومطردة.

وقد وصل النحو في عصر الجرجاني إلى الانحطاط حيث زهد فيه الناس وقللوا من شأنه، فهاجمهم عبد القاهر الجرجاني إذ يقول: «وإنما زهدهم في النحو واحتقارهم له وإصغارهم أمره وتهاونهم به، فصنيعهم في ذلك أشنع من صنيعهم في الذي تقدم وأشبه بأن يكون صدا عن كتاب الله»[1]. فالصد بالنسبة له عن علم النحو صد عن معرفة كلام الله

[1] عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص26.

وصد عن استخراج الأسرار الموجودة في القرآن الكريم، وهذا ما دفع عبد القاهر الجرجاني إلى إعادة الاعتبار لهذا العلم الجليل والذي اعتبره المقياس الذي يستقيم به الكلام.

وقد استفاد خلال بحثه من آراء سابقة كأمثال سيبويه والجاحظ...وجاء بعلم المعاني الذي أقامه على دعامة من النحو وأحكامه، ومن أكثر المباحث البارزة والمتعلقة به وهي: التقديم والتأخير، الفصل والوصل، التعريف والتنكير، الحذف والذكر... وكمثال لتوضيح توجهه البلاغي في دراسته لعلم النحو يقول: «في مطلع سورة الفاتحة﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ جعل الحمد أولا للابتداء به وجعل الله ثانيا للإخبار به أما رب فجعلها ثالثا كي يوصف بها الله سبحانه وتعالى»[1].

و يظهر أنّ علم النّحو متعلّق بالتّركيب الشّكلي فقط، والمعنى فيه يفهم من ذلك التّركيب فقط، وأمّا علم المعاني فينتقل من الدّلالة النّحوية إلى الدّلالة الضّمنية انطلاقا من النّحو، وسنرى فيما بعد بعض الأمثلة التي تبيّن علاقة علم النحو بعلم المعاني.

وعليه فإنّ عبد القاهر الجرجاني «لا يريد من هذا أن المزية واجبة لهذه المعاني النحوية في ذاتها ... وإنما يحسن ذلك عنده بإصابته مواقعه وموافقته أغراضه على ما سيأتي من اعتبار مطابقة الحال في معنى البلاغة»[2]. فيعد الجرجاني من خلال هذا مؤسس علم المعاني، إلا أن هناك إشارات لبعض العلماء قبله ساعدته في استخراج هذا العلم. نذكر منهم:

[1] عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص127.

[2] عبد المتعال الصعيدي. البلاغة العالية. تح/عبد القادر حسين. مكتبة الآداب. عمان. د/ط. 1991. ص10.

1. علم المعاني عند علماء القرن الثاني والثالث الهجري:

1.1 علم المعاني عند سيبويه في الكتاب (ت180هـ):

اهتم سيبويه بالمعنى وعني به «والنحو عنده لم يكن مجرد إعراب لأواخر الكلمات وما فيها من رفع ونصب وخفض وجزم بل كان النحو عنده أعز من ذلك وأرفع قيمة مما صار اليه في عهود الانحدار التي فصل فيها النحو عن البلاغة»[1].

تعرّض سيبويه لعدّة قضايا فيما يخصّ علم المعاني: كالتّقديم والتّأخير والإيجاز والحذف، إذ يقول في الحذف: «ومن ذلك أيضا أن تقول" كم ولد له"؟ فيقول ستون عاما، والمعنى: ولد له الأولاد وولد له الولد ستين عاما فحذف الأولاد وأقام الستين مقام الأولاد اتساعا»[2] وقال: «ومما جاء على اتساع الكلام والاختصار قوله تعالى:﴿ **وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**﴾[يوسف:84] وإنما يريد أهل القرية فاختصر وعمل الفعل في القرية كما كان عاملا في الأهل لوكان ها هنا»[3] فحذف هنا المضاف وأبقى على المضاف اليه ويسمى اكتفاء عند سيبويه كما ذكر ذلك السيرافي وهو الباب الثامن من أبواب علم المعاني.

---

[1] عبد القادر حسين. أثر النحاة في البحث البلاغي. دار الغريب للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة. د/ط. 1998. ص114.

[2] أبو سعيد السيرافي. شرح كتاب سيبويه ج5. تح/عبد المعطي أمين قلعجي. شركة القدس للنشر والتوزيع. القاهرة. ط1. 2016. ص 7.

[3] المرجع نفسه. ج5. ص08.

2.1 علم المعاني عند الفراء في كتابه معاني القران (ت 207هـ):

نجد في كتاب معاني القرآن للفراء مباحثا متعددة من مباحث علم المعاني، كالتقديم والتأخير، ولكنه لم يهتم به اهتماما كبيرا ولم ينبّه على أسراره، كما نلفي أيضا الفصل والوصل وأسلوب الاستفهام والتعجّب، يقول في الاستفهام: « ﴿ **وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ** ۚ﴾ [ال عمران:18] وهو استفهام ومعناه أمر ومثله قول الله تعالى: ﴿**فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ**﴾ [المائدة:18] استفهام وتأويله انتهوا[1]. وقد أخذ الاستفهام مساحة كبيرة من بحثه فكثيرا ما يخرج الاستفهام من معناه الحقيقي إلى معان أخرى.

بالإضافة إلى ذلك نجد مبحث الوصل والفصل «ولكنه لم يذكره صراحة وإنّما كانت ملاحظات عابرة لم يطلق عليها الفرّاء هذا المصطلح البلاغيّ ولكنه ذكره في موضع آخر في قوله تعالى قَالُوا ﴿**أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ [البقرة:64] وقال ﴿ **قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ**﴾ [الذاريات:31] حكاية عن موسى، فالفرّاء في هذه الآيات ينصّ على تسمية الفصل برؤوس الآيات اذا جاءت منفصلة عما قبلها فهي فواصل كما هي واقعة في جواب لسؤال مقدر ولا تنفصل الآية عما قبلها كما يفصل الجواب عن السّؤال وهذا ما يسمّيه المتأخّرون بشبه كمال الاتّصال»[2].

ويعتبر الفصل والوصل الباب السّابع من أبواب علم المعاني وقد كان حاضرا عند الفرّاء بغير المصطلح المتعارف عليه اليوم كما رأينا.

[1] أبو زكريا الفراء. معاني القرآن ج1. تح/أحمد يوسف النجاتي. دار المصرية للتأليف والترجمة. مصر. ط1. د/ت. ص202.

[2] عبد القادر حسين. أثر النحاة في البحث البلاغي. ص147.

3.1 علم المعاني عند بشر بن المعتمر (ت210هـ):

أورد الجاحظ في كتابه البيان والتّبيين حديث بشر بن المعتمر عن المعاني وشرفها وذلك بمراعاة مقتضى الحال وهو الذي عليه بني علم المعاني وأُسِّس، إذ يقول: «والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصّة، وكذلك ليس يتّضح بأن يكون من معاني العامّة وإنّما مدار الشّرف على الصّواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال وما يجب لكلّ مقام من مقال، وكذلك اللفظ العاميّ والخاصّ، فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك وبلاغة قلمك ولطف مداخلك واقتدارك على نفسك، على أن تفهم العامّة من معاني الخاصّة، وتكسوها الألفاظ الواسطة التي لا تلطف عن الدّهماء، ولا تجفو عن الأكفاء، فأنت البليغ التّام»[1].

فالذي قصده أنّ شرف المعاني لا يشترط أن يكون من معاني العامّة أو معاني الخاصّة ولكن مدار الشّرف على اختيار الألفاظ المناسبة للمعاني، مع مراعاة المقام، والغرض هو تبليغ المخاطب ما في نفسه بأحسن عبارة يفهمها السّامع.

4.1 علم المعاني عند ابن قتيبة في كتابه تأويل مشكل القرآن (ت276هـ):

عالج ابن قتيبة بعض القضايا المتعلقة بعلم المعاني كالحذف والاختصار والتّكرار والزّيادة، كما ذكر أسماء المصطلحات المتعارف عليها اليوم في أبواب علم المعاني إذ يقول: «وللعرب المجازات في الكلام، ومعناها طرق القول ومآخذه، ففيها الاستعارة والتّمثيل والقلب والتّقديم والتّأخير، والحذف والتّكرار والإخفاء والإظهار، والتّعريض والإفصاح والكناية والإيضاح، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، والجميع خطاب الواحد... مع أشياء كثيرة في أبواب المجاز»[2].

[1] الجاحظ. البيان والتبيين. ص91.

[2] ابن قتيبة أبو محمد عبد الله. تأويل مشكل القرآن. ص27.

فالملاحظ من خلال ما سبق ذكره، أنّ أبواب علم المعاني كانت متداخلة مع أبواب علم البيان يجمعهما "المجاز"، كما أثار عدّة قضايا من بين تلك القضايا والتي استحوذت على أغلب كتابه «قضيّة المتشابه التي تفرعت عنه فصول تتعلّق بالتّركيب أو النّظم بصفة عامّة: المجاز والاستعارة، والحذف والتكرار...وهي قضيّة تتعلّق بالبحث في الإشكال والغموض في العبارة بسبب تصرّف دلالي أو نحوي، وهي تعتبر مساهمة في تشييد صرح البلاغة»[1].

5.1 علم المعاني عند المبرّد في كتابه المقتضب(ت285هـ):

أشار المبرّد إلى علم المعاني في السّياق، وذلك في مسألة الاستفهام وخروج معناه الأصلي إلى معنى آخر يقتضيه المقام «وذلك قولك: أقياما وقد قعد النّاس؟ لم تقل هذا سائلا، ولكن قلته موبّخا منكرا لما هو عليه، ولولا دلالة الحال على ذلك لم يجز الإضمار، لأنّ الفعل إمّا يضمر إذا دلّ عليه دال، كما أنّ الاسم لا يضمر حتى يذكر، وإنّما رأيته في حال قيام في وقت يجب فيه غيره، فقلت له منكرا، ومثله: أقعودا وقد سار النّاس»[2].

والاستفهام هنا ليس غرضه ما كان عليه في الأصل، ولكن خرج منه إلى معنى الإنكار وفيه عدول عن المعنى وهو المقتضى من المقام، كما أشار إلى الحذف دون ذكره، وذلك عندما ذكر قوله تعالى: ﴿ **وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**﴾[يوسف:84] إنّما هو أهل القرية، فأقمت المضاف إليه مقام المضاف، كما قال الشاعر:

ترفع ما رتعت حتى إذا ادَّكرت فإنّما هي إقبـــالٌ وإدبـــار

[1] محمد العمري. البلاغة العربية أصولها وامتداداتها. ص148.

[2] أبو العباس المبرد. المقتضب ج3. تح/محمد عبد الخالق عظيمة. عالم الكتب-بيروت. د/ط. د/ت. ص228

أي ذات إقبال وإدبار»[1] فالحذف هنا أدّى معنى بلاغيّا اقتضاه حال النّاقة، لشدّة سرعتها.

2.2.علم المعاني عند علماء القرن الرابع والخامس الهجري:

1.2 علم المعاني عند ابن طباطبا في كتابه عيار الشعر(ت322هـ):

ركّز ابن طباطبا على المعاني وكيفيّة صياغتها ببراعة، وتعرّض لأبيات شعرية عديدة، ولكن دون شرحها أو بيان ما فيها من الحسن والمزية، كما أشار إلى ضرورة الاهتمام بالمعاني وذلك ب «إلطاف الحيلة وتدقيق النّظر في تناول المعاني واستعارتها وتلبيسها حتى تخفى على نقادها والبصراء بها، وينفرد بشهرتها كأنّه غير مسبوق إليها، فيستعمل المعاني المأخوذة في غير الجنس الذي تناولها منه، فإذا وجد معنى لطيفا في تشبيب أو غزل استعمله في المديح وإن وجده في المديح استعمله في الهجاء...»[2] وهنا إشارة إلى العدول عن المعنى والتفنّن في القول.

2.2 علم المعاني عند ابن جعفر في كتابه نقد الشعر(ت337هـ):

ذكر قدامة المساواة وهي عنده «أن يكون اللفظ مساويا للمعنى حتى لا يزيد عليه ولا ينقص عن، وهذه هي البلاغة التي وصف بها بعض الكتاب رجلا فقال: كانت ألفاظه قوالب لمعانيه أي مساوية لها لا يفضل أحدها على الآخر، مثال ذلك قول امرئ القيس:

فإن تكتمُوا الداءَ لا نخفهِ وإن تبعَثُوا الحربَ لا نقعـدِ

وإن تقتلـــونَا تقتلكـــــمُ وإن تقصـــدُوا لدمٍ نقصـدِ» [3]

وقد اكتفى ابن جعفر بالاستشهاد بأمثلة من الأبيات الشّعرية دون شرحها.

---

[1] أبو العباس المبرد. المقتضب . ص231.

[2] ابن طباطبا العلوي. عيار الشعر. تح/ عبد العزيز بن ناصر المانع. مكتبة الخانجي. القاهرة. د/ط. د/ت. ص167.

[3] قدامة بن جعفر. نقد الشعر. مطبعة الجوانب. قسنطينة. ط1. 1302هـ. ص55.

3.2 علم المعاني عند أبو سعيد السيرافي(ت368هـ):

قال أبو سعيد:« معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته، وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير، وتوخي الصّواب في ذلك، وتجنّب الخطأ في ذلك، وإن زاغ شيء عن هذا النّعت فإنّه لا يخلو أن يكون سائغا للاستعمال النادر والتّأويل البعيد، أو مردودا لخروجه عن عادة القوم الجارية على فطرتهم ثم قال وإنما دخل العجب على المنطقيين لظنهم أن المعاني لا تعرف ولا تستوضع إلا بطريقتهم ونظرهم، وتكلفهم فترجموا لغة هم فيها ضعفاء ناقصون، وجهلوا تلك الترجمة صناعة، وادّعوا على النّحويين أنّهم مع اللّفظ لا المعنى»[1].

إذ نجد في هذه الفقرة المصطلحات التّالية: معاني النّحو، تأليف الكلام، توخّي الصّواب، تجنّب الخطأ، وهي عينها المصطلحات التي ذكرها عبد القاهر الجرجاني وطبّقها على نظريّة النّظم.

4.2 علم المعاني عند ابن جني في كتابه الخصائص(ت392هـ):

تحدّث ابن جني عن علاقة المعنى بإعراب الجملة إذ يقول: «هذا الموضع كثيرا ما يستهوي من ضعف نظره إلى أن يقوده إلى فساد الصّنعة، وذلك كقولهم في تفسير قولنا: "أهلك والليل" معناه الحقّ، أهلك قبل الليل، فربّما دعاه من لا دراية له إلى أن يقول: "أهلك والليل" فيجرّه، وإنّما تقديره الحقّ، الحق أهلك وسابق اللّيل»[2] وهنا إشارة واضحة لعناية العرب بالمعنى والإعراب.

[1] نقلا عن: أبو حيان التوحيدي. الإمتاع والمؤانسة ج1. المكتبة العصرية. بيروت. ط1. 1424. ص97.

[2] أبو الفتح عثمان ابن جني. الخصائص ج1. الهيئة المصرية العامة للكتب. القاهرة. ط4. د/ت. ص281.

وقد سمّى ابن جنّي خروج المعنى عن الوضع اللّغوي، حسب متغيرات أحوال الكلم التي تقتضي ذلك ب " تقديرات الإعراب وتفسير المعنى"، وفيها تحدّث عن الحذف والتّقديم والتّأخير، من أمثلة الحذف قوله: «ألا تراك تفسّر نحو قولهم، ضربت زيدا ضربة بسوط ثم حذفت الضّربة على عبرة حذف المضاف»[1].

وقد تناول هذا المثال عبد القاهر الجرجاني أيضا إذ يقول: «وينظر إلى هذا المكان قولهم (ضربته سوطا) لأنّهم على الضّربة التي هي واقعة بالسّوط اسمه وجعلوا أثر السّوط سوطا، ويعلم على ذلك أنّ تفسيرهم له بقولهم: أنّ المعنى ضربته ضربة بسوط، بيان لما كان عليه الكلام في أصله وأنّ ذلك قد نسي ونسخ وجعل كأن لم يكن»[2] والتّقدير عند كليهما في حذف كلمة "الضربة" في ضربته سوطا.

5.2 علم المعاني عند أبو هلال العسكري في كتابه الصّناعتين(ت395هـ):

تدارس أبو هلال العسكري أربعة مباحث لعلم المعاني وهي: الإيجاز والمساواة والإطناب والفصل والوصل، وقسّم الإيجاز إلى: إيجاز قصر وإيجاز حذف:

إيجاز قصر: «هو تعليل الألفاظ وتكثير المعاني وهو قول الله عزّوجل:﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[البقرة:179] ويتبيّن فضل هذا الكلام إذا قرنته بما جاء عن العرب في معناه، وهو قولهم: (القتل أتقى للقتل) فصار لفظ القرآن فوق هذا لزيادته عليه في الفائدة، وهو إبانة العدل لذكر القصاص، وإظهار الغرض المرغوب عنه فيه لذكر الحياة... فإنّ الذي هو نظير قولهم القتل أتقى للقتل، إنّما هو القصاص حياة، وهذا أقلّ

[1] أبو الفتح عثمان ابن جني. الخصائص ج1. ص285.

[2] عبد القاهر الجرجاني. أسرار البلاغة. ص324.

حروفا من ذاك ولبعده من التّكلفة بالتّكرير»[1] فبان هنا تفوّق نظم القرآن على نظم العرب.

أمّا الحذف: «فعلى وجوه منها أن يأتي الكلام على أنّه جواب فيحذف الجواب، كقول النِّمر:

فإنَّ المنيَّة من يخشَها فسوف تُصَادفه أينَما

أي أينما ذهب»[2] ويكون الحذف هنا اختصارا للكلام لعلم المخاطب به.

6.2 علم المعاني عند ابن رشيق القيرواني في كتابه العمدة(ت463هـ):

أشار إلى الإيجاز عند الرمّاني، وجعله على ضربين: المساواة والاكتفاء، وسمّي الاكتفاء فيما بعد حذفا عند المتأخرين، كما أشار إلى الإطناب والفصل والوصل، في باب المقاطع والمطالع، يقول: «فاختلف أهل المعرفة في المقاطع والمطالع، فقال بعضهم هي الفصول والوصول بعينها، فالمقاطع أواخر الفصول والمطالع أوائل الوصول، وهذا القول هو الظاهر من فحوى الكلام، والفصل آخر جزء من القسيم الأول...والوصل آخر جزء يليه من القسيم»[3] ولا نجد أمثلة أو تفسيرا حول هذه القضية وإنّما إشارات خفيفة لها.

من خلال عرض بعض الإشارات الواردة في كتب الأوّلين، وقد ركزنا واخترنا ثلّة منهم دون ذكرهم كلّهم، نلحظ وجود بعض ملامح أبواب علم المعاني، والتي ساعدت عبد القاهر الجرجاني فيما بعد لتأسيس نظريّته، واستكمال ما جاء به سابقوه.

---

[1] أبو هلال العسكري. الصناعتين. ص178.

[2] المرجع نفسه. ص183.

[3] ابن رشيق القيرواني. العمدة في محاسن الشعر وآدابه. تح/ محمد محي الدين عبد الحميد. دار الجيل. بيروت. ط5. 1981. ص215.

ثالثا: علاقة علم المعاني بعلم النحو عند عبد القاهر الجرجاني:

يتميّز علم المعاني عن غيره من العلوم، من حيث أنّه يدرسها من ناحية مطابقتها لمقتضى الحال، بينما علم النّحو فيدرس أحوال اللّفظ العربي من حيث الصّحة والفساد وكلّ منهما يكمل الآخر، ولا يمكن البتّة الفصل بينهما لأنّ «عزل معاني النّحو عن النّحو مساءة بالغة وجنوح به عن السّبيل السّوي، أي جنوح وتجريد للنّحو حتى يصير جسما بلا روح وإهابا بلا محتوى»[1].

وقال السّكّاكي في هذا الباب: «وأوردت علم النحو بتمامه، وتمامه بعلمي المعاني والبيان»[2] وكلمة "تمام" تعني أن المعنى لا يمكن أن يتحقق معزولا عن النحو، وقال الشريف الجرجاني: «يجريان منه مجرى اللبّ في القشر، ولكونهما إلى معرفة دقائق الكلام ومزاياه والمرقاة المنصوبة إلى ذروة الإعجاز»[3] فمعناه أنّهما من صميم علم النحو، فهما كاللبّ والإعراب وأحكام النّحو كالقشر.

وقد أكّد عبد القاهر الجرجاني علاقة علم المعاني بالنّحو، فالنّحو عنده ليس المقصود به إعمال قواعد النّحو، لأنّ قواعد النّحو قائمة في كلّ كلام، وخاضعة لقاعدة تامّة لا تتجزّأ، بأن تستعمل في جملة ولا تستعمل في أخرى، وإنّما شيء آخر أبعد من ذلك أراده عبد القاهر الجرجاني يتعلّق بالمقام، فيقدّم ويؤخّر ويعرّف وينكّر في كل مقام يقتضي ذلك «والتعريف والتنكير...كلّ ذلك من النّحو والانتقاء إنّما هو الاختيار الأشبه بالمعنى

[1] أحمد عبد الستار الجواري. نحو القرآن. مطبعة المجمع العلمي العراق. د/ط. 1974. ص16.

[2] أبو يعقوب السكاكي. مفتاح العلوم. دار الكتب العلمية. بيروت. ط2. 1987. ص37.

[3] الشريف الجرجاني. المصباح في شرح المفتاح. تح/ محمد عبد السلام إبراهيم. دار الكتب العلمية. بيروت. د/ط. د/ت ص02.

والأشكل في الدّلالة، فلا ترى كلاما وصف بصحّة نظم أو فساد، أو وصف بمزيّة وفضل فيه، إلاّ وأنت تجد مرجع تلك الصحّة وذلك الفساد وتلك المزيّة وذلك الفضل إلى معاني النّحو»[1]، فإذا كان فساد الكلام من عدم توخّي معاني النّحو، فإنّ حسن الكلام ينشأ من توخّي معاني النّحو، والتي هي قوام مزيّة الكلام عند عبد القاهر الجرجاني.

1.3.التّقـــديـــم والتّـــأخيـــر:

تشير عبارة عبد القاهر الجرجاني "معاني النحو" إلى الصّلة الشديدة بين علم النحو وعلم المعاني، فالمعاني خاضعة للبنية النّحوية وترتيبها، وقد بنى النّحاة القواعد النحويّة على أساس الوظيفة والغرض من الكلام «وتقوم الجملة في النّحو العربي على أركان ثلاثة: المسند إليه، والمسند، والفضلة، وتتبع الجملة الاسمية في العربيّة نظام:

م إ (المسند إليه) + م(المسند)+(فضلة)

وأمّا الجملة الفعليّة فتتبع نظام:

مسند + مسند إليه + فضلة

والأركان تمثّلها وظائف (نحويّة) طبّقها النحاة بقيود في أصل الوظيفة، والجملة بهذه القيود جملة عادية مألوفة، يراد بها الإخبار والإسناد»[2].

وقد يطرأ عليها تغيير وعدول عن الأصل بما يحدث من تقديم أو تأخير، ويكون إمّا بتقديم الخبر على المبتدأ أو تقديم المفعول به على الفاعل...وهكذا، ومنه فالتّقديم والتّأخير

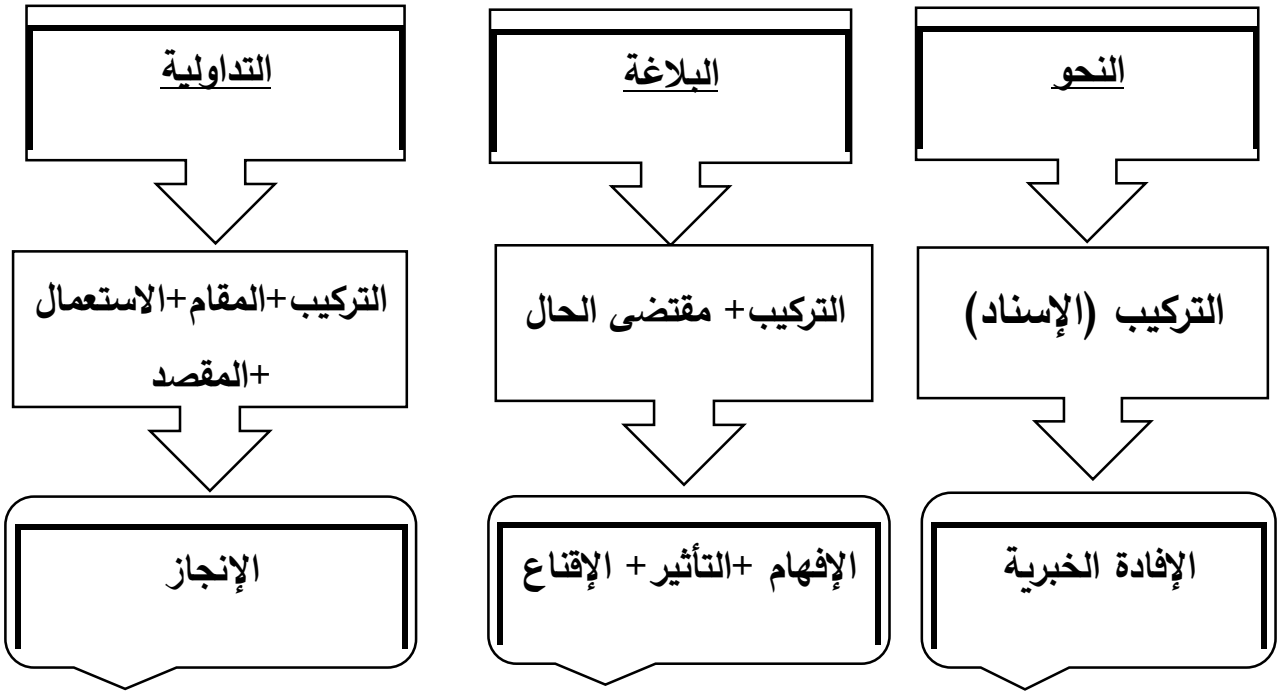
[1] عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص61.

[2] عبد الحميد السيد. (التراكيب النحوية من الوجهة التداولية) . مجلة مؤتة للبحوث والدراسات. مج 16. ع2. 2001. ص60.

مبحث نحوي في الأصل ثمّ بلاغي، وزاوية النّظر مختلفة بينهما، «فالنّحاة ينطلقون من النّظر إلى التّركيب الظّاهر مع هذه الأصول بسبب تقديم أو تأخير وحذف، أو نحو ذلك من مظاهر العدول، فصرفوا عنه إلى باطن منضبط، بما وضعوا من قواعد، أي ردّوا البنية السطحية إلى العميقة، بلغة التّحويليين، وهم إنّما يفعلون ذلك، إمّا طلبا للاطراد المحكم في القاعدة، وإمّا حرصا على اللّغة في مستواها المثالي العادي المألوف، الموصل إلى فهمها وتعلّمها، وهو المستوى الذي هو موضع عنايتهم»[1].

ويطلق النّحاة على مصطلح التّقديم والتّأخير مصطلح التّصرف، أي حرّية التّرتيب بين أجزاء الجملة تقدّما وتأخّرا، فالتّركيز في النّحو منصبّ على التّركيب وفي البلاغة إضافة على ما سبق تهتم بالمعنى والمقام، والعدول بالنّسبة لها يكون مراعاة لمقتضى الحال وفق السّياق الذي ترد فيه، وهذا راجع في الأصل إلى بعد تداولي، يمكن أن نسمّيها الأفعال الكلاميّة كما سمّاها سورل(Searl)، ويشترك كل من النّحو وعلم البلاغة والتداولية في النسق، ويمكن أن نمثّل له بالمخطّط التالي:

[1] عبد الحميد السيد. (التراكيب النحوية من الوجهة التداولية) . مجلة مؤتة للبحوث والدراسات. ص61.



مخطط يوضح تشكل المعنى بين علمي النحو والبلاغة واللسانيات التداولية

يعد علم النّحو بمثابة الأرضية التي تمهّد للمعاني أن تتشكّل وفق الأغراض والمقاصد ومنه يكون التّرتيب الأصلي في الجملة نحوي صرف خاضع لقاعدة ثابتة ومعيّنة، أمّا التّرتيب الفرعي فهو المعدول عن هذه القاعدة والخارج عن ترتيبها، والتّقديم فيه يكون لأمر اختياري اقتضاه المقام للتّعبير عن المعاني بطرق مختلفة، وهذا الذي ركّزت عليه البلاغة في باب علم المعاني كما سنرى مع عبد القاهر الجرجاني.

تعرّض عبد القاهر الجرجاني لمسائل الاستفهام وفرّق بين تقديم الفعل تارة وبين تقديم الاسم تارة، ولكلّ تقديم لهما له معنى، فالمتكلّم بالنّسبة له يعلم ما يسأل عنه والمدار على فهم المخاطب لتقرير الاستفهام وموافقة المتكّلم في الغرض مثال ذلك:

(أ)
الشك في الفعل
1.أبنيت الدار التي كنت على أن تبنيها؟
2.أقلت الشعر الذي كان في نفسك أن تقوله؟
3.أفرغت من الكتاب الذي كنت تكتبه؟

(ب)
الشك في الفاعل
1.أأنت بنيت هذه الدار؟
2.أأنت قلت هذا الشعر؟
3.أأنت كتبت هذا الكتاب؟

ففي المثال الأول (أ) اقتضى تقديم الفعل الشكّ فيه، أكان أم لم يكن؟ والمثال (ب) كان الشكّ في الفاعل أهو أم ليس هو، وقد جعل النّحاة الهمزة للتّصديق والتّصور معا «ومما يعلم به ضرورة أنه لا تكون البداية بالفعل كالبداية بالاسم»[1].

والتّصور يكون عقليا لاستقامة الكلام أو فساده، «فلو قلت أأنت بنيت الدار التي كنت على أن تبنيها؟ أأنت قلت الشعر الذي كان في نفسك أن تقوله؟ أأنت فرغت من الكتاب الذي

[1] عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص80.

كنت تكتبه؟ خرجت من كلام النّاس، ذاك لفساد أن تقول في الشّيء المشاهد نصب عينيك أموجود أم لا؟»[1] وهذا أمر خارج عن حدود المنطق وعن صحّة الدليل، «والدليل الصحيح هو عبارة عن أقوال مرتبة ومترتب بعضها على بعض، ومتنوعة بمقتضى صورتها التّركيبية وفق قاعدة منطقيّة معلومة، بحيث متى صدقت طرق المقدّمات من هذه الأقوال صدق بالضرورة طرق النتيجة منها»[2] هذا بالنسبة للاستفهام التقريري.

وقد «يأخذ الاستفهام بالهمزة في التّقديم معاني أخرى ذات بعد تداولي منها:

_الإنكار: أأنت قلت الشعر؟ ننكر على المخاطب قول الشعر.

-**النفي**: أهو قال ذلك على الحقيقة أم أنت تغلط؟ نفي القول عن الفعل.

-**التسليم بالخبر ومطالبة المستمع بالدليل على خبره**: متى كان هذا في ليل أم نهار؟»[3] أمّا التّقديم في الفعل المضارع فقد يقتضي معنى الحال نحو «:

أيقتُلُني والمَشْرفيُّ مُضاجِعي ومسنونةٌ زُرقٌ كأَنْيابِ أَغْوالِ »[4]

فالفعل يقتلني هنا دالّ على المستقبل والمتكلم هنا منكر فعل القتل واستطاعته«وقد يظن الظّان أنه يجوز أن يكون في معنى أنه ليس بالذي يجيء أن يقتل مثلي...ولكنّه إذا نظر علم أنّه لا يجوز، وذاك لأنه قال: "والمشرفي مضاجعي" فذكر ما يكون منعا من الفعل، ومحال أن يقول: هو ممن لا يجيء منه الفعل ثم يقول "إني أمنعه" لأن المنع يتصور فيمن

[1] عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز ص80-81.

[2] طه عبد الرحمان. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. المركز الثقافي العربي. دار البيضاء. بيروت . ط1. 1998. ص143.

[3] عبد السلام عشير. عندما نتواصل نغير. إفريقيا الشرق. تونس. د/ط. 2006. ص76.

[4] عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص84.

يجيء منه الفعل ومع من يصحّ منه لا من هو منه محال ومن هو عن نفسه عاجز»[1] ومن هنا تختلف الدّلالة باختلاف الأحوال والظّروف، ولا تكفي الدّلالة الوضعيّة لتفسير المعنى «فقد يصاغ الخطاب في تمثيل تدرك معانيه الحرفية، ولكنها غير كافية لإدراك المغزى واستخلاص العبرة وعلى هذا فإنّ النّص لا يتمظهر في شاكلة واحدة، وإنّما في كيفيّات مختلفة وراءها مقصديّة المرسل، والظّروف التي يروّج فيها النّص وجنس النّص وهذه الماورائيّات نفسها تؤدي إلى اختلاف استراتيجيات التأويل»[2].

ومن هذا يظهر أنّ أمر التّقديم والتّأخير راجع للمتكلّم وحرّيته في التّصرف بالكلام لإبلاغ مقاصده وأغراضه التي يريدها.

وهذا ما يمنح المتكلّم السّلطة أثناء عمليّة إنتاج الخطاب باعتباره المحور الأساسي في تلك العملية، وإنتاج الخطاب راجع بالأساس إلى مراعاة التّرتيب النّحوي والإسناد، وعليه فإنّ علم النحو يمثل عند العرب «الصّناعة العلمية والمعيار الذي تكتشف به بنية الخطاب أو ما يسمّى بالأسلوب عند ياكبسون(R.Jakobson)، وبالنّظم عند الجرجاني»[3]

فاكتشاف البنية ورصد الوظائف والأدوار في حدود الجملة سواء بالتّقديم أو التّأخير وفق أغراض المتكلّم، يساعد في التّفريق بين المعنى والمعنى، وينظر إليها ومطابقتها لمقتضى الحال، وهذا ما جاء به عبد القاهر الجرجاني، وفسّر به اختلاف الدلالة بين الإخبار وقصد المتكلم، وتركيزه المستمر على المخاطب وكيفيّة تلقيه للخطاب.

[1] عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز ص85.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري. استراتيجيات الخطاب. مقاربة لغوية تداولية. دار الكتاب الجديد. بيروت. ط1. 2004. ص212.

[3] كاهنة دحمون. الجملة الاعتراضية. دار الأمل. تيزي وزو. د/ط. 2012. ص48.

2.3.الفصـــل والوصـــل:

أشار عبد القاهر الجرجاني إلى صعوبة هذا العلم بقوله: «وذاك لغموضه ودقّة مسلكه، وأنّه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلا كمل سائر معاني البلاغة، وقال في تعريف الفصل والوصل: الوصل عطف بعضها على بعض والفصل ترك العطف فيها، والمجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى»[1].

استأنف الجرجاني الحديث في هذا العلم بالواو، وقبل الحديث عنه سنقف أولا عند تعريف الفصل والوصل عند النحاة، فعرّفه الزّجاجي بأنه «العلم بمواضع العطف والاستئناف والتهدّي إلى كيفيّة إيقاع حروف العطف في مواقعها»[2]، وقد اهتمّ النّحاة بدراسة العطف بين المفردات، والبلاغيون جعلوها بين الجمل وقسّمها الجرجاني إلى ضربين:

1-أن يكون للجملة موضع من الإعراب، «حتى تكون واقعة موقع المفرد، كان عطف الثّانية عليها جاريا مجرى عطف المفرد على المفرد مثل:"مررت برجل خُلُقُه حسن وخَلْقُه قبيح" فأخذت الجملة الثّانية حكم الأولى وسبب الحكم نحويّ كونها في موضع جر بأنها صفة للنكرة»[3].

2-أن تعطف على الجملة العارية الموضع من الإعراب جملة أخرى مثل: «"زيد قائم وعمرو قاعد"، والواو هنا غير الواو هناك، ذلك أنه يمكن الاستغناء عنها ويستوي الحال فتقول: "زيد قائم، وعمرو قاعد" وبذلك تعتبر زيادة في الاشتراك بين الجملة الأولى والثانية، ولا يكون الإشراك كذلك إلا بالمعنى»[4] فالمعنى هو من يفرض سلطته في اختيار العطف بالواو

[1] عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص157

[2] عبد الرحمان بن إسحاق الزجاجي. الإيضاح في علل النحو. تح/مازن المبارك. دار النفائس. بيروت. ط3. 1979. ص151.

[3] عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص154.

[4] المصدر نفسه. ص154.

أم لا، ولا يتحقّق المعنى «حتى يكون عمرو بسبب من زيد وحتى يكونا كالنظيرين والشّريكين، وبحيث إذا عرف السّامع حال الأوّل عناه أن يعرف حال الثاني...فلو قلت: "خرجت اليوم من داري" ثمّ قلت: وأحسن الذي يقول بيت كذا قلت ما يضحك منه، ومن هنا عابوا أبا تمام في قوله:

لا وَالَّذي هُوَ عالِمٌ أَنَّ النَوى صَبِرٌ وَأَنَّ أَبا الحُسَينِ كَريمُ

وذلك لأنه لا مناسبة بين كرم أبي الحسين، ومرارة النّوى، ولا تعلّق لأحدهما بالآخر»[1]

يتّضح لنا ممّا سبق أنّ الوصل يكشف جزءا من المقاصد الضّروريّة المرتبطة بحاجات المستمع التّواصلية، وعبد القاهر الجرجاني يركّز على حال السّامع بالدرجة الأولى.

كما يؤدّي الوصل مهمّة التّواصل بحيث يكون إنشاء الكلام متوافقا مع السّياق الداخلي له، حتى لا يقع عدم التوافق بين أسيقة الكلام، وعليه فإنّ الرّبط يحدث على مستوى نسقي متعلّق بمستوى سياقي مراعاة لحال السّامع.

أمّا الفصل فيكون بترك الأداة وعطف الجملة على الأخرى بطريقة ما لأمر عارض مثال ذلك: «﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ** ﴾﴿ **أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ** ﴾[البقرة: 11-12] إنّما جاء "إنّما هو المفسدونّ" مستأنفا مفتتحا بألا، لأنّه خبر من الله تعالى بأنّهم كذلك، والذي قبله من قوله تعالى "إنّما نحن مصلحون" حكاية عنهم»[2] وهذا سبب الفصل.

فلو وصلنا لا نقلب المعنى وصار المفسدون هم المصلحون، فاقتضى ترك العطف والاستئناف ليطابق الكلام مقتضى الحال وتحريك السّامعين لأن يعلموا ما مصير هؤلاء الذين ادّعوا على أنفسهم الصلاح «وأتنزل بهم النّقمة عاجلا أم لا تنزل ويمهلون وتوقع في

[1]. عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز ص156.

[2] المصدر نفسه. ص160.

أنفسهم التمني لأن يتبين لهم ذلك...ومن اللّطيف في الاستئناف ربط المعنى بالسّياق الوارد فيه مثال ذلك:

وقال إنّي في الهَوى كَاذِب انتَقمَ اللّـه مِن الكِاذبِ

استأنف قوله: انتقم الله من الكاذب، لأنّه جعل نفسه كأنّه يجيب سائلا قال له: فما تقول فيما اتّهمك به من أنّك كاذب؟ فقال أقول: انتقم الله من الكاذب»[1] والمعنى هنا متضمّن في القول، ويظهر من خلال السّياق ومقتضى الحال.

ويسمّى الفعل الكلامي عند أوستين(J.Austin)، وعليه فإنّ باب الفصل والوصل عالج قضايا جديدة للمعاني الجديدة عن النحاة والبلاغيين، باعتبارها وسيلة للرّبط وتوالد الجمل «وكونها جملة نحويّة فالنّحوي يشرح تركيبها من حيث أنها جملة اسمية أو فعلية وأنّها خاضعة لانتظام قواعدي حرصا على اللّغة من اللّحن...أمّا البلاغي فهو يعنى بالدّلالة والمقام الخارجي وما يحيط بالمتخاطبين أثناء عمليّة التخاطب وأثرها عليهما، ليكون اهتمام الأول بالمقال والثاني بعلاقته بالمقام»[2].

فالخطاب نتاج جملي قائم على حسن الصياغة وحسن البناء بالإضافة إلى حسن البيان إمّا باتباع القاعدة أو العدول عنها لأغراض يقتضيها المقام التّخاطبي.

[1] عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز ص164.

[2] كاهنة دحمون. الجملة الاعتراضية. ص57.

3.3.التّعريـــف والتّنكيـــر:

وردت عدّة تعريفات للتّعريف والتنكير عند النّحاة القدامى، يقول ابن يعيش: و«اعلم أن النّكرة هي الأصل والتّعريف حادث، لأنّ الاسم نكرة في أوّل أمره، مبهم في جنسه ثمّ يدخل عليه، ما يفرد بالتّعريف حتى يكون اللّفظ الواحد دون سائر جنسه، كقولك: رجل فيكون هذا الاسم لكل واحد من الجنس، ثمّ يحدث عهد المخاطب لواحد بعينه فتقول: الرجل، فيكون مقصورا على واحد بعينه، فالنّكرة سابقة لأنّها اسم الجنس...فلا تجد معرفة إلا وأصلها نكرة»[1] يّتضح من هذا القول أنّ التّنكير عند النّحويين يفيد استغراق الجنس، أمّا التّعريف فإنّه يفيد التّعيين، ومفهومهما مرتبط بعلم المخاطب.

تكون الكلمة معرفة حينا، ونكرة حينا، حسب مقتضيات الخطاب، ويقرّر النّحويون أنّ «الأصل في المبتدأ أن يكون معرفة»[2] لأنّه لا يمكن الابتداء بالكلام مبهما «ولو قلت رجل ذاهب، لم يحسن حتى تعرفه بشيء، فتقول: راكب من بنى فلان سائر...فلما أدخلت فيه الألف واللام وكان خبرا حسن الابتداء، وضعف الابتداء بالنكرة»[3] فاستحبوا أن يكون المبتدأ معرفة لأنّه لا فائدة من الحكم على اسم نكرة يجهله المخاطب.

وقرّر النّحويون أيضا أنّ «الأصل في الخبر أن يكون نكرة»[4] وذلك لأنّ الحكم إذا كان معلوما لدى المخاطب قبل الخطاب فلا قيمة للحكم الذي أصدره المتكلّم على المبتدأ. وقد يقعان معرفتين، والسّلطة بيد المتكلم في اختيار الحكم الذي يناسب المقام وحال المتلقي.

---

[1] ابن يعيش موفق الدين أبو البقاء. شرح المفصل ج5. إدارة الطباعة المنيرية. مصر. د/ط. د/ت. ص85.

[2] أبو العباس المبرد. المقتضب ج4. ص127.

[3] سيبويه. الكتاب ج1. ص329.

[4] أبو حيان الأندلسي. ارتشاف الضرب من لسان العرب ج3. تح/ رجب عثمان محمد. مكتبة الخانجي. القاهرة. ط1. ص 1998م. ص1099.

و«نجاح الخطاب والتّواصل قائم على افتراض المتكلّم ووعيه بالخطاب، مع مراعاة حال السامع، فلقد أدرك النحاة أثر العلم بحال المخاطب في التّعريف والتّنكير، فلفتوا إلى أنّ على المتكلّم أن يراعي حال المخاطب، فإذا قدّر علمه بالشّيء استخدمه معرفة، وإذا قدّر جهله به استخدمه نكرة ليعلمه به»[1] وعليه فإن القول بالتّعريف والتّنكير مرتبط بعلم السّامع وجهله.

وعبد القاهر الجرجاني تناول الحديث عن التّعريف والتّنكير ضمن حديثه عن الفروقات التي تحدث للخبر، وذكر تعريف الخبر وتنكيره في الإثبات، وضرب مثالا عن ذلك «بقوله:

أ) زيد منطلق ب) زيد المنطلق[2]

إذا نظرنا إليهم من الجهة النّحوية فالمعنى واحد وهو "انطلاق زيد" فالأوّل مبتدأ والثاني خبر، أمّا من الجهة البلاغية المرتبطة بالمقام فالحال مختلف، فالقول" أ" موجّه لمخاطب لا علم له بالخبر وهو انطلاق زيد، أمّا القول "ب" فموجّه إلى مخاطب علم أنّ هناك انطلاقا قد حصل ولكنّه لم يعلم من المنطلق بالتّحديد، وحاصل الأمر أنّ التّنكير في "زيد منطلق" أفاد إثبات فعل للسّامع لم يكن يعلمه، أمّا بالنسبة للتّعريف في "زيد المنطلق" فأفاد إثبات فعل كان السّامع على علم به دون العلم بصاحبه، فأفاده ذلك.

[1] محمود أحمد نحلة. التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل. دار التوني للطباعة والنشر. القاهرة. د/ط. 1997. ص21.

[2] عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص124.

بالإضافة إلى ما سبق نجد فرقا بين مسألتين نبّه إليهما عبد القاهر الجرجاني وهو «الفرق بين:

-1 زيد منطلق وعمرو.

-2 زيد المنطلق وعمرو.[1]

فالأوّل جائز والمعنى أنّ زيدا وعمر منطلقان، أمّا الثاني فالتّعريف جعل زيدا مخصوصا بالانطلاق دون عمرو، وهو مثبت في الأوّل وغير مثبت في الثّاني، وعليه فاختلاف المقام يعمل على تنويع استعمال التراكيب لما يستدعيه الموقف التّخاطبي من ذلك.

وقد سمّيت هذه الفائدة التي يحقّقهما التّعريف والتّنكير «ب "التعيين" عند النّحاة وقد اهتمّوا بوصفها عنصرا هامّا في إقامة أي تواصل لغوي مفيد، أي محقق لمبدأ الإفادة كشرط ضروري لعمليّة التّواصل»[2] ويظهر هنا اهتمام النّحاة بحال السّامع.

كما أشار عبد القاهر الجرجاني إلى مجيء الخبر المعرّف بالألف واللّام على «ثلاثة وجوه»[3]:

-1 **الوجه الأوّل:** إفادة القصر الادّعائي لقصد البالغة نحو:

«"زيد هو الجواد"، "عمرو هو الشجاع"، تريد أنّه الكامل»[4]

-2 **الوجه الثاني:** القصر الادّعائي لقصد التّخصيص:

---

[1]. عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز ص124.

[2] ينظر: مسعود صحراوي. التداولية عند العرب. دار الطليعة. بيروت. ط1. 2005م. ص189.

[3] عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص125.

[4] المصدر نفسه. ص125.

وذلك بأن «يقيد بالحال والوقت مثل" هو الوفيّ حين لا تظنّ نفس بنفس خيرا"»[1] والإفادة هنا في جعل الوفاء صفة خاصّة في هذه الحالة، ولو قال هو الوفي فقط يصبح القصر مبالغا فيه، فكان لقيد الوقت والحال دورا في جعل القصر حقيقيا.

3- **الوجه الثالث:** القصر لقصد الإقرار وإثبات الظّهور:

وهو الذي عليه «قول الخنساء:

إِذَا قَبُحَ الْبُكَاءُ عَلَى قَتِيلٍ رَأَيْتُ بُكَاءَكَ الْحَسَنَ الْجَمِيلَا

لم ترد أن ما عدا البكاء عليه فليس بحسن ولا جميل، ولم تقيّد الحسن بشيء، فيتصوّر أن يقصر على البكاء،ولكنّها أرادت أن تقرّه في جنس وما حسنه الحسن الظّاهر الذي ينكره أحد»[2].

فجيء بالتّعريف في "الحسن الجميل" بدلا من التّنكير لإفادة القصر، ولأنّ التنكير غير مناسب لهذا المقام و«العدول عن التّنكير للتعريف إنّما هو إشارة لمعلومية الحسن لذلك البكاء، فلا ينكر، لأنّ "أل" الجنسية يشار بها إلى معهود معلوم، وهنا أشير بها إلى ادّعاء»[3] كون البكاء هنا ظاهر معلوم في حالتها النفسية فلا ينكره أحد لأنّه ظاهر.

يتّضح ممّا سبق أنّ المسألة في تذوّق الكلام ليست مبنية على قواعد النّحو فقط وإنّما على معرفة المعاني ووضعياتها المختلفة، ودلالة العبارات عليها حسب السّياق الذي ترد فيه.

---

[1] . عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز ص125

[2] المصدر نفسه. ص127.

[3] محمد الدسوقي. حاشية الدسوقي على مختصر المعاني. مجلد 2. تح/ عبد الحميد هنداوي. المكتبة العصرية. بيروت. ص131.

أولا: الخطاب والمقصدية ومفهومهما:

1.1.مفهوم الخطاب

2.1.مفهوم المقصدية

ثانيا: ماهية السياق وعلاقته بالمعنى عند عبد القاهر الجرجاني:

1.2.مفهوم السّياق.

2.2.السياق وعلاقته بالمعنى عند عبد القاهر الجرجاني.

ثالثا: أفعال الكلام بين الفكر التّداولي والجرجاني:

1.3.ملامح الأفعال الكلامية في الفكر التداولي عند عبد القاهر الجرجاني.

2.3.التلقي والتأويل عند عبد القاهر الجرجاني.

إنّ عمليّة تحديد مفاهيم المصطلحات العلميّة، مهمّة قام بها مختلف الدّارسين قديما وحديثا، وذلك لتيسير عملية البحث وتفادي الالتباس مع تكوين فكرة أو تصور حول الموضوع المراد البحث فيه. والمصطلحين اللذين سنحاول الوقوف عندهما هما الخطاب والمقصدية، إذ يعدان من أكثر القضايا تداولا في الدراسات اللسانية الحديثة وخاصة التداولية، باعتبارهما أساس العملية التواصلية.

حيث أن المقاصد تعمل على توجيه المتكلم إلى استعمال اللغة وتأويلها وفق معطيات معيّنة، ونجاح الخطاب والتّواصل مرهونان بفهم مقاصد المتكلّم من طرف المتلقي، وأي سوء فهم منه سينبني عليهما إنتاج خطابات لا تتناسب مع السياق، واللغة وحدها لا تكفي لفهم المقاصد، ما لم توضع في الإطار العام الذي تستعمل فيه.

1.1.مفهوم الخطاب:

الخطاب عند ابن منظور هو« مُراجعَةُ الكَلامِ، وقد خَاطَبَهُ بالكَلامِ مُخَاطَبةً وخِطابَا وهما مُتخَاطبَان، والمُخَاطبَةُ صيغَةُ مُبالغَة تُفيدُ الاشتِراكَ والمُشارَكَة في فعلٍ ذي شَأن...»[1] فالخطاب من خلال هذا التعريف هو ممارسة فعلية تقتضي المشاركة بين متكلمين أو أكثر يوجه منشئ الكلام خطابه إلى الغير من أجل إفهامه، ويرتبط الكلام باللغة باعتبارها نظاما من الرموز موجهة إلى متلقي الخطاب والذي بدوره يقوم باستقبال تلك الرسالة اللغوية ومحاولة فك شفرة تلك الرموز.

وقد نظر علماء اللغة لهذه اللغة عبر زاويتين «أولاهما النظر إلى الاستعمال بوصفه سابقا على التنظير فكان منطلقهم في استخراج القواعد اللغوي وأخراها هي إبرازهم لبعض

[1]ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب ج14. مادة (خطب). دار المعارف. القاهرة. د/ط. د/ت. ص 354.

الاستعمالات اللغوية المرتبطة بالسياق»[1] فكان اهتمامهم باستعمال اللغة ظاهرا قبل وضع القواعد وبعدها باعتبار أن اللغة هي أداة التواصل والتي بواسطتها تقوم العلاقات وتُبلَّغ المقاصد.

والخطاب وفق هذا الطّرح لا يتحقّق إلاّ بواسطة اللغة التي تعتبر مادة له، واستعمالها يخرجها من حالة السّكون إلى الدينامية والحركية وهو الهدف من وراء الخطاب، حيث تدلّ كلمة الخطاب على فعل التّخاطب وهو الأصل في الكلام ولا يقصد به الكلام المنطوق المعزول عن دلالته أو مقصديته الأساسية وهي التّواصل مع الغير« إذ أن حقيقة الكلام ليست هي الدخول في علاقة بألفاظ معينة بقدر ماهي الدخول في علاقة مع الغير، بمعنى أن الذي يحدد ماهية الكلام إنما هو "العلاقة التخاطبية" وليس العلاقة اللفظية وحدها فلا كلام بغير تخاطب ولا تكلم من غير أن تكون له وظيفة المخاطب(بكسر الطاء) ولا مستمع من غير أن تكون له وظيفة المخاطب(بفتح الطاء)»[2].

فالخطاب الذي لا يوجه إلى مخاطب معين لا يعتبر خطابا، والكلام أثناء النوم أو الهذيان لا يسمى خطابا لغياب "العلاقة التخاطبية" كما سماها طه عبد الرحمان، ونلحظ هنا استعمال الخطاب بمعنى الكلام، وقد عرفه الفيومي ب: «خاطبه مخاطبة وخطابا وهو الكلام بين متكلم وسامع»[3] وعده كلاما أيضا، وقال الكفوي: «الخطاب هو اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه»[4] والخطاب هنا اللفظ.

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري. استراتيجيات الخطاب.ص.28

[2] طه عبد الرحمان. اللسان والميزان.ص.21.

[3]الفيومي أحمد بن أحمد بن علي. المصباح المنير ج1. المكتبة العلمية بيروت. د/ط. د/ت. ص.173.

[4]الكفوي أيوب بن موسى الحسيني. الكليات. تح. عدنان درويش محمد المصري. مؤسسة الرسالة. بيروت. د/ط. د/ت ص.419

وقال محمد يونس أنّ الخطاب هو «النص اللغوي بعد استعماله، وهو وسيلة المتخاطبين في توصيل الغرض الإبلاغي من المخاطب إلى المخاطب ويتسم بأنه كتلة بنيوية واحدة متماسكة الأجزاء»[1].

وعليه فقد تعددت مصطلحات الخطاب حسب التعريفات السابقة بين (الكلام–اللفظ–النص...) إلا أن الغرض واحد وهو الإفهام والتبليغ.

وقد اهتم مختلف الباحثين المختصين في مجال اللغة من نحويين وبلاغيين ولسانيين بدراسة الخطاب وفق منظورهم...، وقد حظي بقيمة كبيرة في الدرس النحوي وتعددت مباحثه فيه ومن أهم تلك المباحث: التقديم والتأخير الذي يقتضي الخروج عن المألوف إلى أغراض أخرى يبتغيها المخاطب، فتقديم المسند إليه مثلا له عدة أغراض منها أن يفيد «تقديمه تخصيصه بالخبر الفعلي إن ولي حرف النفي فيحمل دلالة نفي الفعل عنه وإثباته لغيره نحو قول المتنبي:

وَما أَنا أَسقَمتُ جِسمي بِهِ وَما أَنا أَضرَمتُ في القَلبِ نارا

إذ المعنى أن هذا السقم الموجود والضرم الثابت ما أنا بجالب لهما فالقصد إلى نفي كونه فاعلا لهما»[2].

وعليه فإن لكل كلمة في مقامها مقال ولكل تركيب معين غرض تداولي معين وهذا ما وضحه عبد القاهر الجرجاني عندما تحدث عن التقديم والتأخير ووصفه بأنه باب كثير الفوائد جم المحاسن إذ أن لكل تقديم وتأخير أبعادا تداولية، بالإضافة إلى دراسة الأساليب

[1] محمد يونس. المعنى وضلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية. دار المدار الإسلامي. بيروت. ط2. 2007. ص157

[2] القزويني. الإيضاح في علوم البلاغة.ص138.

الإنشائية وخروج معناها الأصلي إلى معان أخرى كخروج أداة الاستفهام من معنى السؤال إلى معاني أخرى كالتعجب والإنكار.

أما الخطاب عند البلاغيين فيرتبط بمقتضى الحال وتتلخص فكرته في أن يكون الخطاب مطابقا لمقتضى الحال ولعل أول النصوص التي اهتمت بذلك –وفق ما ذكرت بحوث الدارسين– ما أورده الجاحظ من حديث بشر بن المعتمر «شرف المعنى على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة ما يجب لكل مقام مقال...» [1]، (قد ذكرنا هذا القول كاملا في الفصل الثاني)، فالخطاب إذن يجب أن يكون قائما على الصحة والصواب مع موافقته للمقام لتقديم فائدة للمخاطب.

أمّا مفهوم الخطاب عند المحدثين فتعدّدت تعريفاتهم ونظرتهم له وأوّل الدّراسات بدأت مع ديسوسير (De–Saussure) وتفريقه بين اللغة والكلام وتركيزه على البنية فقط.

وقد توسعت الدراسات بعده على يد هاريس(Harris) وذلك بأن وسع حدود البحث اللساني بتعديته من الجملة إلى الخطاب، إذ يقول: «إن الخطاب منهج في البحث في أيما مادة مشكلة من عناصر متميزة ومترابطة في امتداد طولي سواء أكانت لغة أم شيئا شيبيها باللغة ومشتمل أكثر من جملة أولية إنها بنية شاملة تختص بالخطاب في جملته أو أجزاء كبيرة منه» [2] فهو يركز على البنية العامة للنص متجاوزا الجملة في حد ذاتها.

[1] الجاحظ. البيان والتبيين.ج1ص136.

[2] بشير حرشاية. (مصطلح الخطاب في الدرس اللساني) . مجلة العلوم الإنسانية والحضارة ع1. المركز الجامعي صالحي أحمد. النعامة. 2022م. ص23.

إذ النص ينبني على جملة من العلائق تربط الجمل فيما بينها لتشكل لنا دلالة شاملة أو جزئية حول النص و«الخطاب عبارة عن متوالية من الأقوال والجمل أو بتعبير حجاجي مجموعة من الحجج والنتائج التي تقوم بينها أنماط مختلفة من العلائق»[1].

فالغرض من النص لا يمكن أن يتحقق بالجمل وحدها وإنما بالاتساق والانسجام.

ويعرف بنفست (Benveniste) الخطاب «بأنه كل تلفظ يفترض متكلما ومستمعا بحيث يحاول المتكلم التأثير على المستمع بطريقة ما»[2].

والتلفظ هو الفعل الذاتي في اســـتعمال اللغة أي متعلق بالمتكلم ودوره في التأثير على المستمع، أي أن السلطة في عملية إنجاح الخطاب هي بيد المتكلم، وله الحرية في التحكم في أداء اللغة ووظيفتها القولية، وهذا ما ركز عليه بنفســـت في قوله قوله التلفظ دون الملفوظ باعتبار أن الثاني منغلق على ذاته ومستقل عن ذات المتكلم، والأول حركي لأنه متعلق بالكلام الفردي. ومن خلال هذا يمكن أن نستخلص الشروط التالية التي يكون بها الخطاب خطابا:

-مشاركة طرفين رئيسيين في عملية التخاطب أولها المخاطِب (منشئ الخطاب) والآخر المخاطَب (المتلقي أو المرسل إليه).

-وجود قصد من توجيه المرسل الخطاب إلى المتلقي.

-عرفية اللغة بأن تكون متواضعا عليها.

-احتواء الخطاب على رسالة موجهة للمتلقي لفك شفرتها.

[1] ماري نوال غاري بريور. المصطلحات المفاتيح في اللسانيات. تر. عبد القادر نهيم الشيباني. الجزائر. ط1. 2007.ص53.

[2] بشير حرباشة. (مصطلح الخطاب في الدرس اللساني). مجلة العلوم الإنسانية والحضارة. ص23.

-إفهام المخاطب والتأثير فيه.

-تهيؤ متلقي الخطاب لاستقبال وفهم غرض المخاطب لإنجاح عملية التخاطب.

2.1.مفهوم المقصدية:

وردت لفظة القصد بدلالات متعددة حيث نجد المعنى لغويا «القصد استقامة الطريق، قصد يقصد قصدا فهو قاصد وقوله تعالى:﴿ **وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ ۚوَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾[النحل:9]، أي على الله تبيين الطريق المستقيم...والقصدُ إثبات الشيء تقول: قصدته وقصدت له وقصدت إليه»[1] فالقصد حسب هذا التعريف يدل على البيان وإثبات الشيء والوجهة وتدور دلالاتها حول معنى واحد هو الوصول إلى غاية معينة.

تعتبر اللغة أداة التواصل، وإنّ «وظيفتها الأساسية هي الإعلام والبيان المتبادل»[2] أي إعلام المتكلّم بما في نفسه لغيره، وقد أشار ابن خلدون في تعريفه للغة إلى المقصدية بقوله: «عبارة المتكلم عن مقصوده»[3].

وحتى يمكن للمتكلم التّعبير عن مقصوده يجب توفر عدة عناصر من ثقافة ومعرفة باللغة ومنطق...لأنها مرتبطة بالعقل وبذهنية المتكلم، كما اعتبرها سورل (Searle)إذ يقول عن المقصدية: «هي إحدى سمات العقل الثلاث وهي سمة العقل التي توجه الحالات الفعلية، أو تتعلق بها حالات عقلية، أو تشير أو تهدف إليها في العالم.»[4] فهي تدور حول حلقة الذّهن حيث ترتبط بحالة المتكلّم النفسيّة والفكريّة ووصف العالم.

---

[1]ابن منظور. لسان العرب ج3. ص35.

[2]عبد الرحمان الحاج صالح. الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربي. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية. الجزائر. د/ط. 2012م..ص48.

[3]ابن خلدون. المقدمة ج1. ص546.

[4] جون سورل. العقل واللغة والمجتمع. تر. سعيد الغانمي. منشورات الاختلاف. الجزائر. ط1. 2005. ص102.

ولابن القيم إشارات مهمة في القصدية وأبعادها إذ يقول : « والتّعويل في الحكم على قصد المتكلم والألفاظ لم تقصد لنفسها، وإنما هي مقصودة للمعاني والتوصّل بها إلى معرفة مراد المتكلم، ومراده يظهر من عموم لفظه تارة، ومن عموم المعنى الذي قصده تارة وقد يكون فهمه من المعنى أقوى وقد يكون من اللفظ أقوى وقد يتقاربان...والتحاكم في ذلك إلى فطر الناس وعقولهم»[1].

أي أنّ الحكم على القصد الذي يريده المتكلّم قد يظهر من دلالة اللفظ وحده، وهي دلالة ظاهرة من اللفظ، قد لا تحتاج إلى جهد في معرفتها، وقد لا تظهر من دلالة اللفظ وحده، فيحتاج الأمر إلى إعمال الفكر، فمدار الأمر إذن على عقول الناس ونسبة فهمهم لأن العقول تتفاوت وهذا ما كان يشير إليه عبد القاهر كثيرا، وقد انصب جل اهتمامه في كيفية استخراج المعاني كما يظهر لنا.

وقد دار مصطلح القصد عند البلاغيين وكان غاية بحثهم،« وكذلك كان الجرجاني في نظرية النظم، فهو من أكثر العلماء الذين رددوا مصطلح القصد، بل كان محور نظريته بوصفه سبب العدول عن التركيب الأصل هو لبيان قصد المرسل بالاستجابة للسياق تداوليا كما ألمح في مواطن عديدة إلى أن القصد هو المعنى فمن ذلك معالجته لبعض الآليات من كناية ومجاز والتي تعد من آليات الاستراتيجية التلميحية»[2].

[1] ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر. إعلام الموقعين عن رب العالمين ج1. تح/ محمد بن عبد السلام إبراهيم. الكتب العلمية. بيروت. ط1. 1991م. ص166.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري. استراتيجيات الخطاب. ص201.

ويظهر العدول عند عبد القاهر الجرجاني كما لاحظنا سابقا في التقديم والتأخير وما يتوافق مع قصد المتكلم، وما يدل أكثر على اهتمامه بالقصد ابتكاره لمصطلح المعنى ومعنى المعنى ويندرج ذلك ضمن باب المجاز والاستعارة.

كما تنبّه إلى أنّ القصد من الكلام ليس في المفردة في حدّ ذاتها إذ يقول « ومعنى القصد إلى معاني الكلم أن تعلم السّامع بها شيئا لا يعلمه، ومعلوم أنّك أيها المتكلم لست تقصد أن تعلم السّامع الكلم المفردة التي تكلمه بها فلا تقول : خرج زيد، لتعلمه معنى "خرج" ومعنى زيد كيف ومحال أن تكلمه بألفاظ لا يعرف هو معانيها كما تعرف»[1].

فالقصد لا يمكن أن يصل إلى المتكلّم دون أن يكون عارفا باللغة ولا يمكن أن يتحقق التّواصل بين اثنين لا يشتركان في نفس اللّغة، وعليه فإنّ المعنى يصل إلى السّامع من دلالة الألفاظ وارتباطها مع بعضها، حيث أن لكل كلمة مع صاحبتها مقام.

كما أنّه « لا يتصوّر أن تفتقر المعاني المدلول عليها بالجمل المؤلّفة إلى دليل يدلّ عليها زائد على اللّفظ، كيف؟ وقد أجمع العقلاء على أنّ العلم بمقاصد النّاس في محاوراتهم علم ضرورة ومن ذهب مذهبا يقتضي ألا يكون الخبر معنى في نفس المتكلم، ولكن يكون وصفا للفظ من أجل دلالته على وجود المعنى من الشّيء أو فيه، أو انتفاء وجوده عنه، كان قد نقض منه الأصل»[2]

وهذا يعني أنّ دلالة اللفظ وحده لا تكفي ليتحقق المقصد من الكلام، ولكن بدليل زائد على اللفظ وهو(المدلول) المعاني المختزنة في ذهن المتكلمين، والغرض من الكلام هو بيان ما يدور في أذهانهم، و« الدلالة على الشيء هي لا محالة إعلامك السّامع إيّاه، وليس

[1] عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص.363.

[2] المصدر نفسه. ص365.

بدليل ما أنت لا تعلم به مدلولا عليه، وإذا كان كذلك، وكان مما يعلم ببدائه المعقول أن النّاس إنّما يكلّم بعضهم بعضا ليعرف السّامع غرض المتكلّم و مقصوده»[1].

ومنه فإنّ التّركيز على المقصد من الكلام قائم عند عبد القاهر الجرجاني على شيء أبعد من دلالة اللفظ وحده، حيث دحض الآراء التي تجعل من اللفظ فقط دليلا على الغرض، ووصف هذا الأمر بأنّه لا يمكن تصوّره لأنّه خارج عن حدود العقل، وعلى إثر ذلك خرج بنتيجة هي أنّ «معاني الكلام كلها معان لا تتصور إلا فيما بين شيئين، والأصل الأول هو الخبر وإذا أحكمت العلم بهذا المعنى فيه، عرفته في الجميع، ومن الثّابت في العقول والقائم في النّفوس، أنّه لا يكون خبر حتى يكون مخبر به ومخبر عنه، لأنّه ينقسم إلى إثبات ونفي...فلو حاولت أن تتصور إثبات معنى أو نفيه من دون أن يكون هناك مثبت له ومنفي عنه، حاولت مالا يصح في عقل»[2].

وعليه فالكلام يتحقق بضم كلمة إلى كلمة وهنا موضع الخبر والإسناد، ودلالة الألفاظ لديه مرتبطة بما تفيده من معاني عند التّركيب، ويعتبر الإثبات والنفي من أكثر الأساليب حضورا «عند النّحاة الوظيفيين، أي الذين يراعون" المقاصد والأغراض" التّواصلية في تحليل الكلام...كالخبر(أي المسند) والنعت، في مثل: "جاءني زيد الظريف" والسبب مخافة الالتباس على المخاطب، وذلك إذا كان هناك رجلان اسم كل واحد منهما زيد، وأما قولهم "ما جاءني زيد الظريف"، فالنفي لمجيء زيد الظريف فقط وليس لنفي مجيء زيد غيره»[3] وقد فسر عبد القاهر الجرجاني ذكر الصفة لإزالة اللبس وتعتبر قاعدة تداولية.

[1] عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص363.

[2] المصدر نفسه. ص363.

[3] مسعود صحراوي. التداولية عند العرب. ص194.

يقتضي القصد عند عبد القاهر الجرجاني أن يكون متعلّقا بفعل معين، ولا توجد مقصديّة من القول دون عمليّة الإسناد «ومن أجل ذلك امتنع أن يكون لك قصد إلى فعل من غير أن تريد إسناده إلى شيء مظهر أو مقدر وكان لفظك به، إذا أنت لم ترد به ذلك وصوتا تصوته سواء»[1].

وعليه فقد جعل الإسناد التّركيبي دليلا على استظهار المعنى بالإضافة إلى الإسناد العقلي وهو المتعلّق بالشيء المضمر إن صح القول، لأنّ عمليّة إنتاج الخطاب مرتبطة أساسا بالذّهن والتصورات المأخوذة عن العالم وقد يكون المعنى ظاهرا مباشرا وقد يكون غير مباشر، وهذا ما توصّلت إليه اللّسانيات التّداولية أيضا، حيث قسم أوستين الخطاب إلى خطاب مباشر وخطاب غير مباشر، ووضع مجموعتان من المواضعات للمعاني:

- «**المواضعات الوصفية (Conventions Descriptions)**: الرابطة الكلمات بأنماط الوضعيات والأشياء والأحداث...التي يمكن أن نجدها في العالم.

- **المواضعات الإشارية (Conventions Démonstratives)**:الرابطة بين الكلمات بأنماط الوضعيات والأشياء والأحداث...التاريخية التي يمكن أن نجدها في العالم»[2] حيث تعمل هذه المواضعات على سيرورة التواصل بين المتكلم والسامع.

ويعدّ سورل من الذين ركّزوا على المقصديّة حيث يرى أنّها دلالة خارجة عن حدود اللغة، وأنّ معرفة القول لا ينحصر في حدود النظام والبنية فقط، والمقصدية عنده «ما يشكل ذاتية المتكلم، فالحالات القصدية هي مضامين تمثيلية تأتي على شكل موجهات (Modes) سيكولوجية، هي بمثابة خصوصيّة جوهرية للذّهن البشري تعمل على الرّبط بين الحالة

[1] عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص363.

[2] نصيرة غماري. (نظرية أفعال الكلام عند أوستين). مجلة اللغة والأدب ع17. جامعة الجزائر. 2006. ص80.

القصدية والأشياء التي نمثلها... وكل حالة قصدية أخرى تكون الخلفية العملية للمتكلم قبل القصدية اللحظية»[1].

وعليه يمكن القول إنّ القصد من الكلام مرتبط بالخبر أساسا، فقد ينشأ من معان متعارف عليها فتكون مباشرة وقد ينشأ من معان أخرى متصوّرة في الذّهن ويتفهّمها المتلقي من خلال السياق.

وهذا ما ذكره عبد القاهر الجرجاني بقوله: «أنّ الخبر وجميع الكلام معان ينشئها الإنسان في نفسه، ويصرّفها في فكره، ويناجي بها قلبه، ويراجع فيها عقله، وتوصف بأنّها مقاصد وأغراض وأعظمها شأنها الخبر، فهو الذي يتصوّر بالصّور الكثيرة، وتقع به الصّناعات العجيبة»[2].

وهذا ما سعت التداولية إلى البحث فيه حيث صبت اهتمامها على تحليل اللغة تحليلا عميقا بدراسة مكوناتها الداخلية التي تحدد الطبيعة القضوية للقول من إنشاء وخبر.

وقد عالج أوستين « في كتابه نظرية أفعال الكلام العامة، للبحث في الإشكالات التي تدور في فلك مغلق(الصدق والكذب) والخروج بنظرية جديدة تهتم بالإنجاز، حيث أصبح الاهتمام منصبا في الكلام على علاقاته بالوقائع الخارجية من جهة، وبطبيعة الأدوات والمكونات الداخلية التي تشكل القول (إنجازي خبري) من جهة أخرى»[3]وهذه الأدوات والمكوّنات الدّاخلية لم تعد تدرس دراسة لغويّة محضة، وإنّما أصبح الهدف من دراستها هو محاولة معرفة كيف تحقق تأثيرا أو إنجاز من طرف المتكلم على السامع.

[1] عبد السلام عشير. عندما نتواصل نغير. ص71.

[2] عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص364.

[3] عبد السلام عشير. عندما نتواصل نغير. ص71.

والقصد وفق الطرح للتداولي هو أيضا غاية بحثها كونها تقوم على دراسة اللغة قيد الاستعمال وكيفية تحقيق التواصل وإنجاز الأفعال وهو «مصطلح مستعمل في فلسفة الذهن وفلسفة اللغة للإشارة إلى موجهية (directedness) ...الأفعال أو الحالات الذهنية أي الدلالية أو المفيدة بين الذهن والعالم، إن العديد إن لم نقل كل الأفعال أو الحالات الذهنية مثل المعتقدات والرغبات والأحلام والتوقعات والتمنيات والحاجات والأفكار تكون موجهة نحو أشياء...وفضلا عن ذلك فإن التعبيرات اللغوية التي نستعملها للتعبير عن تلك الأفعال أو الحالات الذهنية هي أيضا أشياء»[1].

إذ اللّغة هي الأداة التي بواسطتها يمكن أن نعبّر عما يجول في خواطرنا والتي تحقّق لنا مقاصدنا وأغراضنا من أحلام وتوقعات وتمنيات، فكل كلام يحمل مقصدا معيّنا نحو شيء معيّن، وكل ذلك متعلّق بذهنيّة المتكلّم وتفكيره.

[1] يان هوانغ. معجم أكسفورد للتداولية. تر. إبراهيم عبد الله الخليفة. دار الكتاب الجديد المتحدة. بيروت. ط1. 2020. ص369.

ثانيا: ماهية السياق وعلاقته بالمعنى عند عبد القاهر الجرجاني:

يمثل السياق الرابط بين النص والمرسل والمتلقي، والذي من خلاله تظهر المقاصد الكامنة وراء الخطاب المراد تبليغه، وقد أولت الدراسات البلاغية أهمية له وربطته بالمقام ومقتضى الحال، كما اعتنت الدراسات التداولية أيضا بدراسة حيثياته باعتباره عنصرا فعالا في تحديد المقصود من إنتاج الخطاب، ولكي يتحدّد أثر المعنى من خلال السّياق لابدّ من وجود عناصر تدعّم ذلك حيث تشمل« معتقدات المتكلم ومقاصده وشخصيته وتكوينه الثقافي ومن يشارك معه في الحدث اللغوي والوقائع الخارجية مثل الظروف المكانية والزمانية والظواهر الاجتماعية المرتبطة باللغة »[1].

وكلّها عوامل يخدم بعضها بعضا من أجل الإحاطة بكامل العناصر الداخلية في الكلام والخارجية، وكل ما له علاقة بعمليّة التّواصل، وتفسير مدى فعاليتها في زيادة قوة استعمال اللّغة والتّأثير بها.

وللسّياق مفاهيم عدة نذكر منها:

2.1 مفهـــوم السيـــاق:

يُعرّف السّياق عند أولمان (Stephen Ullmann) على أنّه: «هو النّظم اللّفظي للكلمة وموقعها من ذلك النّظم...فإنّ السياق على هذا التقسيم ينبغي أن يشمل لا الجمل والكلمات السابقة فحسب بل والقطعة كلها والكتاب كله، كما ينبغي أن يشمل بوجه من الوجوه كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات»[2] إذ نجده قسم السياق إلى سياق لغوي متعلق باللفظة وموقعها المناسب لها داخل النظم، وسياق آخر مرتبط بالظروف الخارجية المحيطة بتلك الكلمة.

[1] نقلا عن: أحمد إسماعيل عبد الكريم. الدرس اللغوي عند عبد القاهر في ضوء الدراسات اللسانية الحديثة. جامع الكتب العربية. بيروت. د/ط. 2016. ص24.

[2] ستيفن أولمان. دور الكلمة في اللغة. تر. كمال بشر. دار غريب. مصر. ط1. د/ت. ص57.

والسّياق في المعاجم التداولية: «هو أية سمات ذات صلة من سمات الخلفية أو المحيط الديناميكي حيث تستعمل الوحدة اللغوية بانتظام، ويمكن النظر إلى سياق السياق بوصفه متكونا من: السياق المادي(physical) واللغوي(linguistic) والاجتماعي(social) وسياق المعلومات العامة (general knowldge context).[1] وعرفه فان ديك بأنه:

«عبارة عن مجرى الأحداث المحيطة بظروف الخطاب»[2] فسياق الكلام حسبه هو البعد والمجرى الذي يكون الكلام منصبا فيه.

من المدارس التي اهتمت بالسياق حديثا "مدرسة فيرث" (Firth) «مع التأكيد أن هذا الاهتمام بالسياق لم يكن وليد المدارس الحديثة وحدها بل اهتم به علماء العربية بداية من سيبويه والمبرد وابن جني والجاحظ والجرجاني»[3].

ويعرفه فيرث بأنه مجموعة «بناء نصي كامل من فِقرات مترابطة، في علاقته بأي جزء من أجزائه أو تلك الأجزاء التي تسبق أو تتلو مباشرة فقرة أو كلمة معينة. ودائماً ما يكون سياقُ مجموعة من الكلمات وثيقَ الترابط بحيث يلقي ضوءاً لا على معاني الكلمات المفردة فحسب بل على معنى وغاية الفقرة بأكملها».[4]

السياق إذن له دور كبير في بيان المعنى المقصود في أي بناء نصي فهو لا يلقي الضوء على الكلمة المفردة أو الجملة فقط، وإنما على النص المكتوب والكلام المجمل من خلال علاقة المفردات بعضها ببعض في أي سياق من السياقات المختلفة.

---

[1] يان هوانغ. معجم أكسفورد للتداولية.ص.176.

[2] فان ديك. النص والسياق. تر. عبد القادر فينيني. أفريقيا الشرق. المغرب. د/ط. 2000م. ص205.

[3] صبحي الفقي. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية. دار قباء. مصر ط 1. 2000م. ص.105.

[4]. إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية. المؤسسة العربية للناشرين المتحدين. تونس. ط1. 1986. ص201.

وعليه قسم الدارسون السياق إلى قسمين سياق لغوي وسياق مقامي وقد «اقترح **(K.Ammer)** تقسيمًا للسياق ذا أربع شُعَب يشمل:

1-السياق اللغوي :حيث قد تتَّضح دلالة الكلمة داخل النص الواردة فيه، ويمكن التمثيل له بكلمة (يد) التي ترد في سياقات متنوّعة؛ منها:

يد الفأس: مقبضها، يد الدهر: مد زمانه، يد الريح: سلطانها...

2-**السياق العاطفي:** وهو يُحدِّد درجة القوَّة والضَّعْف في الانفعال؛ مما يقتضي تأكيدًا أو مبالغة أو اعتدالًا، فكلمة "يكره" في العربية غير كلمة يبغض رغم اشتراكهما في أصل المعنى كذلك .

3-**سياق الموقف:** ويعني الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة، مثل استعمال كلمة "يرحم "(في مقام تشميت العاطس) يرحمك الله (البدء بالفعل، وفي مقام الترحم بعد الموت الله يرحمه (البدء بالاسم) فالأولى تعني طلب الرحمة في الدنيا والثانية طلب الرحمة في الاخرة.

-**4السياق الثقافي:** ويقتضي تحديد المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة؛ مثل كلمة جذر عند النباتات وكلمة جذر في الرياضيات».[1]

وقد اهتم عبد القاهر الجرجاني أيضا بأنواع السياقات التي ترد فيها الكلمة كما سنرى في المبحث التالي.

[1] ينظر: أحمد مختار عمر. علم الدلالة. عالم الكتب. القاهرة. د/ط. د/ت. ص68-69.

2.2.السياق وعلاقته بالمعنى عند عبد القاهر الجرجاني:

عني عبد القاهر الجرجاني بدراسة النظم المتعلق بشقي اللفظ والمعنى وكيفية بناء الكلمات وتعليق بعضها ببعض استنادا إلى المعنى وفقا لما يقتضيه المقام المناسب ، فقد تختلط وتلتبس المعاني ولا تظهر دلالاتها إلا من خلال السياق وهذا ما سعى إليه عبد القاهر الجرجاني فقد «جعل المقام من أهم الأسس التي بنى عليها منهجه في دراسته أي ربط الكلام بمقام استعماله مراعيا مقتضى الحال»[1] .

ويوحي عبد القاهر الجرجاني إلى أهمية السياق في تحديد معنى اللفظة بما يجاورها بقوله: « وجملة الأمر أنّا لا نوجب الفصاحة للفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه، ولكنا نوجبها لها موصولة بغيرها، ومعلقا معناها بمعنى ما يليها»[2] فالذي يقصده الجرجاني أن عملية الارتباط بين الألفاظ تسهم في تحديد المعنى المناسب للسياق الذي ترد فيه، و« يرتبط معنى اللفظة في السياق بمعاني كل ما يصاحبها من ألفاظ تساعد على توضيح المعنى، سواء تقدمت تلك الألفاظ أو تأخرت عنه أم اكتنفه من جانبيه، لأن السياق هو الموضع الذي ترد فيه اللفظة في الجملة، فتكتسب توجيها دلاليا من دلالات أخرى تكتسبها من السياقات المختلفة فتكتسب مثلا معنى عرفيا أو تاريخيا»[3].

ويعتبر هذا النوع سياقا لغويا، وهذا ما عبر عنه عبد القاهر الجرجاني أيضا بقوله: «واعلم أن مما هو أصل في أن يدق النظر ويغمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت، أن تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض ويشتد ارتباط ثان منها بأول، وأن تحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعا واحدا، وأن يكون حالك فيها حال الباني يضع

[1] مصطفى عواطف كنوش. الدلالة السياقية عند اللغويين. دار السياب. العراق. د/ط. 2007. ص168.

[2] عبذ القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز . ص 275.

[3] محمد أحمد أبو الفرج. المعاجم اللغوية في ضوء الدراسات اللسانية الحديثة. دار النهضة العربية. القاهرة. د/ط. 1966م. ص121.

بيمينه هاهنا ما يضع بيساره هناك»[1] وتختلف حالات البناء باختلاف البانين لها فقد يشترك اثنان في استعمال نفس الكلمة فيحسن الأول وضعها في سياقها المناسب، ويسيء الثاني استخدامها مثال ذلك لفظة "الشيء" في «قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

وَمِن مالِئٍ عَينَيهِ مِن شَيءِ غَيرِهِ إذا راحَ نَحوَ الجَمرَةِ البيضُ كَالدُمى

وقول أبي حية:

إذا ما تَـــقاضى المَرْءَ يَوْمٌ ولَيْلَةٌ تَـقاضاهُ شَيْءٌ لا يَمَلُّ التَّقاضِيـــا

فإنك تعرف حسنها ومكانها من القبول، ثم انظر إليها في بيت المتنبي:

لَوِ الفَلَكَ الدَوّارَ أَبغَضتَ سَعيَهُ لَعَـوَّقَهُ شَـــيءٌ عَـــنِ الـــدَوَرانِ

فإنك تراها تقل وتضؤل، بحسب نبلها فيما تقدم»[2].

رغم أنّ اللفظة هي نفسها في كل الأبيات، إلا أنّها اكتسبت دلالات مختلفة نظرا لاختلاف توظيفها في التّراكيب، والسرّ في ذلك هو توخّي المعاني، والسّياق هنا لغوي متعلّق بالتركيب وهذا ما أطلق عليه البنيويون أمثال ديسوسير بالبنية، والمعاني عند عبد القاهر الجرجاني لا تتشكل إلا باتساق المباني اتساقا محكما وانتظامها حسب ما يقتضيه المقام إذ النظم عنده «ليس سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض»[3]

فظاهر الأمر أنّ لفظة "سوى" تدل على بساطة النظم ولكنّ الواقع عكس ذلك حيث تعتبر عملية بناء الجمل وتعليق الكلمات بعضها ببعض المرحلة الأولى، والأصل في تأسيس الكلام وصياغته في صور وأحوال مختلفة، وهذا الأمر يحتاج إلى حذق وأستاذية

[1] عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز.ص.69.

[2] المصدر نفسه . ص.38.

[3] المصدر نفسه.ص.02.

وفكر وروية كما وصفه عبد القاهر والهدف من خلال هذه العمليّة هو مطابقة الكلام لمقتضى الحال وبيان المعاني.

وللسّياق تأثير في تغير المعاني واتّساعها،إذ أن دلالة الكلمة الوضعية لا تكفي لبروز المعاني المقصودة و« على الحدث والتصور يتم بناء الجمل والعبارات المنطوقة وهو أيضا حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة عندما تتساوق مع كلمات أخرى مما يكسبها معنى خاصا محددا فالمعنى في السياق هو بخلاف المعنى الذي يقدمه المعجم لأن هذا الأخير متعدد ومحتمل على حين أن المعنى الذي يقدمه السياق اللغوي هو معنى معين له حدود واضحة وسمات محددة»[1] فالكلمة إذن يتغير معناها بتغير السياق الذي ترد فيه ولا يمكن تحديد معنى الكلمة بمعزل عن الوحدات الدلالية المجاورة لها .

ففي المثال السابق في لفظة "شيء " لا يمكن وصفها أو تحليلها أو بيان الحسن والثقل فيها منفردة من دون أن تتموضع داخل السياق، ومنه يقول مارتيني(Martini) :"خارج السياق لا تتوفر الكلمة على معنى"، فالسياقات إذن التي تقع فيها الكلمة هو الذي يحدد معناها، هذا بالنسبة إلى السياق اللغوي.

أما سياق الموقف أو الحال الذي وضعه فيرث فهو مصطلح طوره بعدما حدده مالينوفيسكي(Malinowski): «وسياق الحال عنده نوع من التجريد من البيئة أو الوسط الذي يقع فيه الكلام وهذا التجريد يقوم بيه اللغويون للوفاء بدراستهم، أما القرائن غير اللفظية فهي كل ما يتصل بالحدث الكلامي وما يلابسه من ظروف فيدخل ضمنها سياق الحال والمقام وهي بذلك تشبه السّياق الثقافي والاجتماعي الذي تحدث عنه فيرث»[2] .

[1] أحمد محمد قدور. مبادئ اللسانيات. دار الفكر. بيروت. ط3. 2008. ص295.

[2] عقيلة مصيطفى. (أهمية السياق في إنتاج القول وتأويله وفهم مقاصده). مجلة الواحات للبحوث والدراسات. ع 20. جامعة غرداية. 2014.ص.89.

فيشمل سياق الموقف كل ما يتعلق بالمحيط الاجتماعي سواء الثقافي أو السياسي أو الديني...ومن خلال هذا يمكن توسيع دائرة فهم النص بالاستناد إلى العوامل الخارجية الملمة بالنص، والانتقال من محدودية الدلالة الوضعية إلى أفق أبعد من ذلك يرتبط بالفهم العميق للكلام من خلال الأطراف المشاركة في عملية التلقي.

ويشمل سياق الموقف كل ماله علاقة بظروف الخطاب والعملية التواصلية «وقسمّها بلومفيلد (**Bloomfield**) إلى ثلاثة أقسام:

1-شخصية المتكلم أو السامع وتكوينهما الثقافي وشخصيات من يشهد الكلام من غير المتكلم والسامع.

2-العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة والسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي كمكان الكلام وحالة الجو وكل ما يطرأ على ذلك من انفعالات واستجابات.

3-أثر النص الكلامي في المشتركين وما يترتب من إقناع أو ضحك».[1]

فسياق الموقف حسب هذا يشمل ظروف الزمان والمكان بالإضافة إلى الثقافة والعرف والحالة المقامية في ذات الموقف فقد ينتقل معنى الكلمة الحسنة المتعارف عليها إلى ضدها.

و مثال ذلك ما ذكره عبد القاهر الجرجاني عندما قال: «رب قول حسن لم يحسن من قائله حين تسبب به إلى قبيح كالذي حكى الجاحظ: قال: رجع طاوس يوما من مجلس محمد بن يوسف وهو يومئذ والي اليمن فقال: ما ظننت أن قول سبحان الله يكون معصية لله تعالى، حتى كان اليوم، سمعت رجلا أبلغ بن يوسف عن رجل كلاما، فقال: رجل من أهل المجلس سبحان الله! كالمستعظم لذلك الكلام ليغضب ابن يوسف»[2] .

[1] محمود السعران. علم اللغة. مقدمة إلى القارئ العربي. دار الفكر العربي. القاهرة. ط2. 1997.ص.311-312.

[2] عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز.ص.18

ينقل سياق الحال وظروف المقال وملابساته الخارجية المعنى من القيمة التعبيرية إلى مقصد تداولي آخر، ويساعد هذا في انفتاح النص على معطيات الواقع الخارجي المحيط للكلام، وتصيد المعنى وقت الاستعمال وتداول الكلام وهو ما بحثت في التداولية وشغلت به إلى اليوم إلا أن عبد القاهر الجرجاني كان له السبق في ذلك بقرون عدة وله الفضل في استخراج هذا العلم "علم المعاني" وإفادة من لحقه من العرب وغير العرب كما تشير إلى ذلك دراسات الباحثين.

ثالثا: أفعال الكلام بين التداولية والجرجاني:

تندرج ظاهرة الأفعال الكلامية في التراث العربي ضمن مباحث علم المعاني حسب ما أشارت إليه بحوث الدارسين اللسانيين وقابلوها بمبحثي الخبر والإنشاء كونهما يشتركان في نفس القضايا المتعلقة بالغرض من إنتاج الأقوال. ويعتبر مفهوم الخبر والإنشاء مفهوما مشتركا بين اللغويين والبلاغيين والأصوليين في التراث العربي عامة، وبين ما تعرضه نظرية أفعال الكلام عند أوستين، والتي طورها جون سورل فيما بعد.

والخبر هو ما يحتمل الصدق أو الكذب والإنشاء هو مالا يحتمل الصدق والكذب « والكلام إما أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه فالأول الخبر والثاني الإنشاء»[1] وهذه الثنائية تشبه إلى حد ما ثنائية (الوصف/الإنجاز) عند أوستين.

حيث يمثل الوصف الخبر وهو ما يرتبط بالخارج ويكون واصفا له فإذا طابقه كان الكلام صادقا وإذا خالفه كان كاذبا وإذا لم تكن له علاقة بالخارج فهو إنشاء "طلب" سماهما السكاكي بقانوني "الخبر والطلب".

1.3 ملامح الأفعال الكلامية في الفكر التداولي عند عبد القاهر الجرجاني:

يعتبر الإنشاء في البلاغة العربية مقابلا للفعل الكلامي في التداولية، ولم يرد مصطلح الإنشاء عند السكاكي والجرجاني «مما يشير إلى عدم شيوع المصطلح في تلك الفترة»[2].

وقد قارب كثير من الدارسين حديثا بين المفاهيم التداولية الحديثة وبين فكرة مقتضى الحال في البلاغة العربية ومنهم صلاح فضل حيث يقول: «ويأتي مفهوم التداولية هذا

[1] القزويني. الإيضاح في علوم البلاغة. ص15.

[2] مسعود صحراوي. التداولية عن العلماء العرب. ص54.

ليغطي بطريقة منهجية منظمة المساحة التي كان يشار إليها في البلاغة العربية "مقتضى الحال" وهي التي أنتجت المقولة المشهورة في البلاغة العربية "لكل مقام مقال"»[1].

وفكرة مقتضى الحال تداولية أساسا حيث أنها تبحث في الشروط التي يكون بها المخاطب مطابقا لمقتضى الحال.

ويمكن تعريف الفعل الكلامي بأنه: « كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري ...ويعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعالا قولية لتحقيق أغراض إنجازية (كالطلب والأمر والوعد والوعيد) وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي(كالرفض والقبول) ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلا ذا تأثير في المخاطب اجتماعيا مؤسساتيا ومن ثم إنجاز شيء ما»[2].

فيكون غرض الفعل الكلامي هو التأثير في المتلقي ويحقق فيه إنجازا ما كحمله على الرفض أو القبول مثلا، واختلفت التعريفات المحددة للفعل الكلامي باختلاف الدارسين ومنطلقاتهم الإبستيمولوجية ولكن المتفق عليه هو أن الأقوال التي نتكلمها هي أفعال لغوية غرضها التأثير أو الحمل على القيام بشيء، المهم أن يكون لها نتيجة فعلية في حالة المتلقي.

تنسب هذه النظرية إلى "أوستين" وبعده "جون سورل" كما تقر بذلك الدراسات اللسانية الحديثة، يدور المبحث الأساسي في دراستهما حول الأفعال الإنشائية والسبب في ذلك أن أوستين لاحظ أن هناك جملا لا تقبل الصدق أو الكذب عكس الجمل الخبرية التي تقوم بوصف العالم ولا تؤدي أفعالا إنجازية، وعليه جعل اهتمامه بالجمل الإنشائية على غرار الجمل الخبرية و«قسم الأفعال الكلامية إلى ثلاثة أقسام:

[1] صلاح فضل. بلاغة الخطاب وعلم النص. عالم المعرفة. الكويت. د/ط. 1978. ص21.

[2] مسعود صحراوي. التداولية عند العلماء العرب.ص40.

-1 **فعل القول (Acte locutoire)**: ويراد به إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة.

-2 **الفعل المتضمن في القول(Acte illocutoire)** : وهو الفعل الإنجازي الحقيقي إذ أنه عمل ينجز يقول ما، وهو الغرض الأساسي من الأفعال الكلامية

-3 **الفعل الناتج من القول (Acte perlocutoire)**: وهو التسبب في نشوء آثار في المشاعر والفكر ومن أمثلة ذلك: (الإقناع، التضليل، الإرشاد، التثبيط) وهو الحاصل أو الناتج من أثر القول»[1].

حيث يمثل الفعل الأول والثاني الجانب المتعلق بالتركيب والسلامة النحوية وهذا ما أشار إليه عبد القاهر الجرجاني «توخي معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه...»[2].

ويكون هذا التوخي بجعل الواحدة من الكلمة بإزاء صاحبتها « ولا محصول لها غير أن تعمد إلى اسم فتجعله فاعلا لفعل أو مفعولا، أو تعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبرا عن الآخر أو تجيء باسم بعد تمام كلامك على أن يكون صفة أو حالا أو تمييزا، أو تتوخى في كلام هو لإثبات معنى، أن يصير نفيا أو استفهاما أو تمنيا، فتدخل عليه الحروف الموضوعة لذلك أو تريد في فعلين أن تجعل أحدهما شرطا في الآخر فتجيء بهما بعد الحرف الموضوع لهذا المعنى، أو بعد اسم من الأسماء التي ضمنت معنى ذلك الحرف...»[3]

أما الفعل الناتج عن القول عند أوستين، فنجد عبد القاهر الجرجاني يقول:« وإذا قد عرفت أن مدار النظم على معاني النحو وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون

[1] مسعود صحراوي. التداولية عند العلماء العرب. ص41.

[2] عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص. 362.

[3] المصدر نفسه. ص.43.

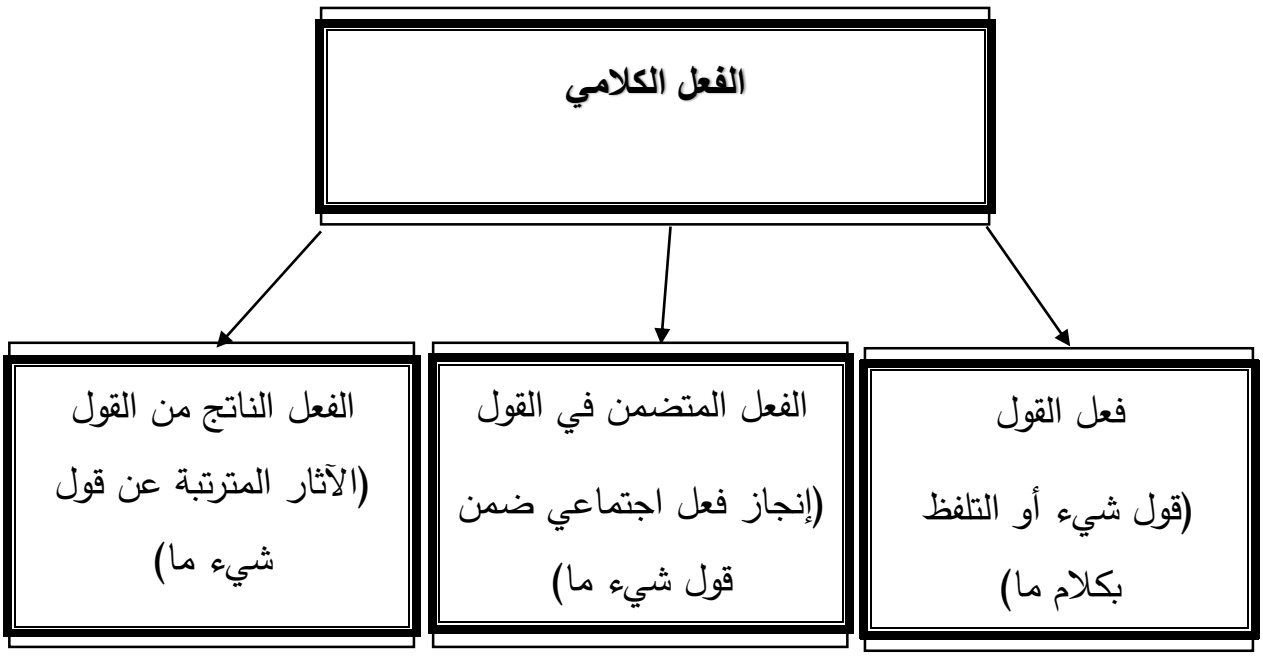
فيه، فاعلم أن الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لا تجد لها ازديادا...ثم اعلم أن المزية ليست بواجبة لها في أنفسها، ومن حيث هي على الإطلاق، ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام...واستعمال بعضها مع بعض»[1].

وهذه الأنواع الثلاثة التي ذكرها عبد القاهر الجرجاني وأوستين تلتقي في نفس التقسيمات إلا أن عبد القاهر الجرجاني أضاف المعنى في الجانبين الأول والثاني إذ الألفاظ خدم للمعاني وكل نظم للكلام يقتضي اقتفاء للمعاني.

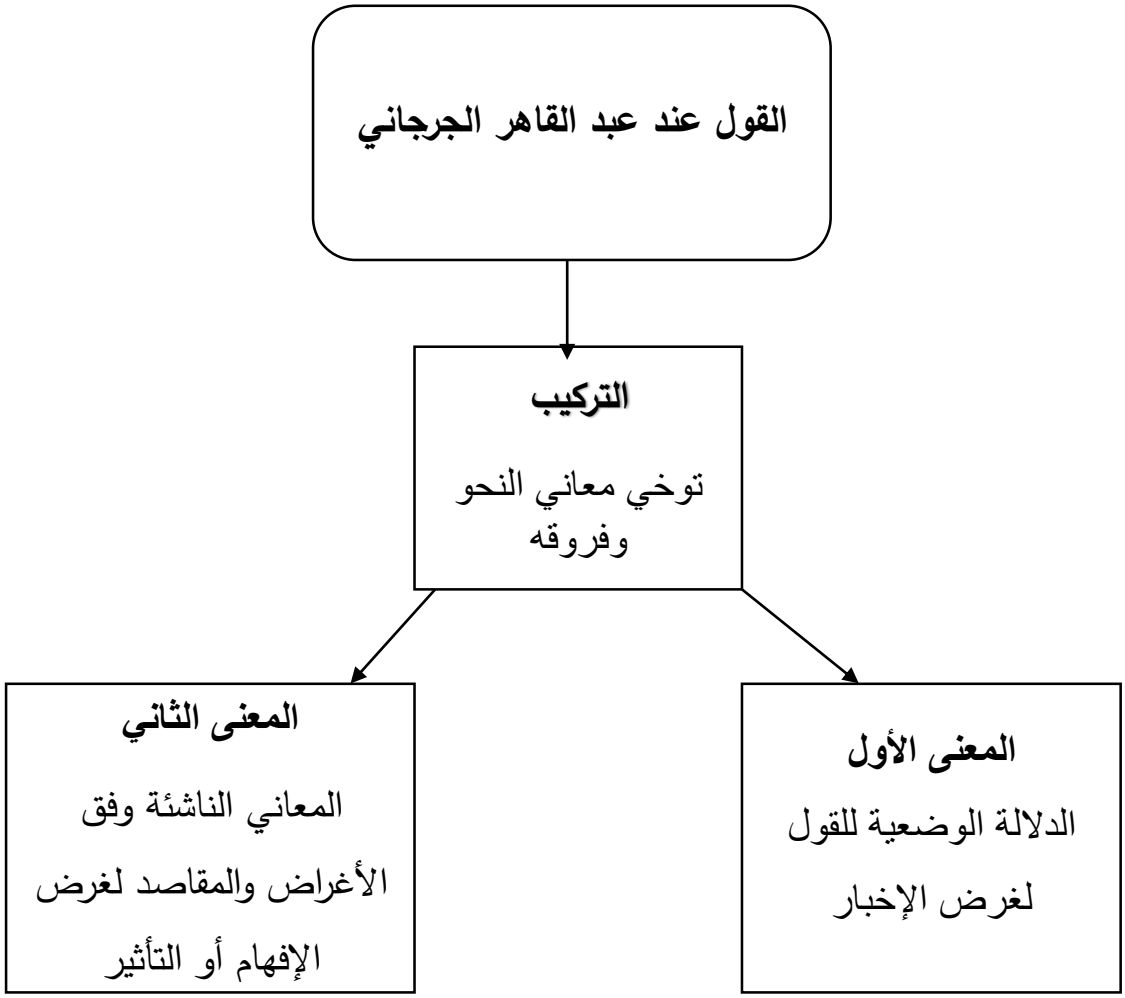
والمخطط الآتي يوضح تقسيمات الأفعال الكلامية عند أوستين كما وضحها. أ. مسعود صحراوي:

وحاولنا وضع مخطط مقابل له عند عبد القاهر الجرجاني.

[1] عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص.65.



مخطط يمثل تقسيمات أوستين للأفعال الكلامية.



مخطط يوضح القول من منظور عبد القاهر الجرجاني

وجاء بعد أوستين اللساني جون سورل وقسم الكلام إلى أفعال كلامية مباشرة وغير مباشرة، أما المباشرة فهي ما يدل عليه ظاهر اللفظ، وأما الفعل الغير مباشرة فهو الدلالة التي تخرج عن ظاهر اللفظ إلى دلالات أخرى.

وهو ما عبّر عنه عبد القاهر الجرجاني بأن قسّم الكلام إلى ضربين: الأول « ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلا بالخروج على الحقيقة فقلت: خرج زيد...وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل إلى الغرض، ومدار الأمر على "الكناية" و"الاستعارة" "والتمثيل"»[1].

فالضرب الأول من الكلام يندرج ضمن صنف التقريريات عند سورل « ويعني إدراج مسؤولية المتكلم عن صحة ما يتلفظ به وشرطها امتلاك الأسس القانونية أو الأخلاقية التي تزيد صحة محتواها»[2].

ويقابل هذا القول أضرب الخبر الثلاثة، أما الطلب فيندرج ضمن أربعة أقسام وضعها سورل(Searle) « فمن الإنشاء ما يندرج ضمن الإيقاعيات كألفاظ العقود...ومنه ما يندرج ضمن البوحيات كالمدح والذم والتمني...»[3].

كما عالج عبد القاهر الجرجاني المعنى الذي يخرج عن مقتضى الظاهر في باب الاستعارة والتمثيل والكناية من أمثلة ذلك قوله في: «يزيد بن الوليد إلى مروان بن محمد حين بلغه أنه يلكأ في بيعته: أما بعد فإني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فإذا أتاك كتابي

[1] عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص. 181.

[2] مسعود صحراوي. التداولية عند العرب.ص.83.

[3] المرجع نفسه. ص.83

هذا فاعتمد على أيتها شئت والسلام»[1] فالظاهر من اللفظ أنه متردد ومتحير في أمره بدلالة لفظ" يقدم رجلا ويؤخر أخرى" وقد أوله عبد القاهر تأويلا أبعد من ذلك وهو« أن مثلك في ترددك بين أن تبايع وبين أن تمتنع مثل رجل قائم ليذهب في أمر فجعلت نفسه تريه تارة أن يذهب، وأخرى أنه في ألا يذهب فجعل يقدم رجلا تارة ويؤخر تارة»[2].

فالمعنى لم يظهر من دلالة اللفظ وحده وإنما بوجود عامل آخر وهو القرينة الحالية، وهو ما نجد أن سورل صنفه في الفعل الكلامي الغير مباشر حيث يقول عن الأفعال الغير مباشرة :« هي في الحقيقة أفعال مقامية لا يدرك معناها إلا من القرائن اللسانية والحالية وأضرب الاستدلال العقلي...»[3] حيث تعتبر عوامل مساعدة في فهم النص والوصول إلى مقصد المتكلم ولا يمكن ذلك من خلال دلالة اللفظ وحده.

إذ أن« الأغراض لا تعرف من الألفاظ ولكن تكون المعاني الحاصلة من مجموع الكلام أدلة على الأغراض والمقاصد»[4] ومجموع الكلام ربما يقصد به مختلف الظروف المحيطة بالخطاب والعناصر الفاعلة فيه من متكلم ومتلقي وسياق.

وعليه « لا يتم التفكير في الفعل الكلامي بمنظور قصدي إلا في إطار يحدد قيمته، فالفعل الكلامي لا يعبر عنه بواسطة الجملة فقط ولكن يعبر عنه في سياق معين وفق المعادلة التالية: قول_سياق_رسالة»[5] فتصبح الأفعال تبعا لهذا تابعة للمقاصد الخفية لقائلها لا تابعة لشكلها الظاهري فقط.

---

[1] عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص. 300.

[2] المصدر نفسه. ص.300

[3] نعمان بوقرة (نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية). مجلة اللغة والأدب ع17. جامعة الجزائر. 2006م. ص199.

[4] عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص. 300.

[5] عبد السلام عشير. عندما نتواصل نغير. ص102.

2.3 التلقي والتأويل عند عبد القاهر الجرجاني:

تعامل عبد القاهر الجرجاني من خلال طرحه لقضية النظم بأسلوب الحوار والمناقشة مع قارئ النص الضمني فكثيرا ما كان يكرر ضمير المخاطب "أنت" ولفظة "اعلم" ويستعمل الأساليب الحجاجية لاستمالته والتأثير فيه.

وهذا الحوار وهذه المناقشة «مؤسّسين أولا وقبل كل شيء على الفهم والتّفسير من جهة، والتّعدد الدّلالي من جهة ثانية، لأنّ المكتوب لو نظرنا إليه نظرة متعمّقة لوجدناه مؤسّسا حتما على خطة حجاجيّة (plan argumentatif) تهدف إمّا إلى الإقناع بطرح معيّن أو إلى جذب المتلقّين الأكفّاء لإثراء النص ومحاورته»[1].

وكما سبق الذكر، فإنّ الخلفيّة العقديّة والفكرية والحصيلة المعرفيّة كانت بدورها عاملا أساسيّا للتّأثير في كتابات عبد القاهر الجرجاني، فبرع في التسلّح بآليات الحجاج والاستدلال المنطقي والتي «شكلت بؤرا دلالية تجذب القراء والمؤولين»[2].

والهدف الذي كان يسعى إليه عبد القاهر هو وضع الأدلّة الإقناعية أمام القارئ لتوضيح وبيان الدلائل الموصلة إلى إعجاز القرآن الكريم.

وقد ارتبطت نظرية التلقّي والتأويل عند العرب ارتباطا وثيقا بالخطاب القرآني حيث كان اهتمامهم بادئ الأمر بفهم النص ومقاصده ومعانيه، ثمّ انتقل بهم الأمر للنّظر في متلقّي الخطاب وحالته وماهي الشّروط التي يجب توفّرها حتى يتهيّأ له سبيل فهم القرآن الكريم وتأويله إن أمكن.

[1] محمد سالم محمد الأمين. الحجاج في البلاغة العربية. دار الكتب الجديد المتحدة. بيروت ط1. 2008.ص 62.

[2] المرجع نفسه. ص62.

ومن تلك الشّروط المعرفة التامّة باللّسان العربي وكل العلوم المتعلّقة به من: صرف، نحو، وبلاغة، وفقه...وعليه فإنّ الكلام البليغ إذا ألقي لمخاطب جاهل بالبلاغة لم يكن لهذا الخطاب أيّ تأثير. يقول محمد مبارك «وللعرب ميزة في نظرية التلقّي قد تجعل للآداب العربية افتراقاً عن بعض الآداب الأخَر، وهذه الميزة مستمدّة من عاملين أساسيين: الأوّل القرآن الكريم إذ أوجد نوعين من التلقّي أحدهما مرتبط بالآخر، هما التلقي الشفاهي والقراءة، فالإنصات لتلاوة القرآن وهو تلق شفاهي سيظل ما بقيت للزمان بقية، إذ لا يكتفى بقراءة القرآن فلا بد من السماع إذن، والسماع تلقٍ شفاهي دون شك والآخر هو الشعر، والشعر العربي ينشد ويغنى أي بحاجة إلى متلق شفاهي»[1] ويمكن أن نسمي هذا التلقي، بالتلقي الحسي أو الذوقي.

أما حديثا فتعتبر نظرية التلقي من أهم نظريات ما بعد الحداثة ظهرت حوالي 1960 كما تشير إلى ذلك الأبحاث، انطلقت هذه النظرية من جامعة كونستانس الألمانية في ألمانيا على: «على يدي كل من فولفغانغ إيزر (Wolfgang Iser) وهانز روبير ياوس (Hans Robert Gauss)»[2].

تتلخص فكرتها في أنها أعادت الاعتبار للمتلقي واهتمت بجماليات التلقي بعدما أهملتهما المدرسة الشكلية التي ركزت نظرها على النص، باعتباره بنية مغلقة وألغت المؤلف، الأمر الذي دفع المفكرين إلى إعادة النظر في جانب المتلقي ودوره في عملية التلقي والتأويل، وعليه فقد اهتم ياوس بالقارئ واعتبره عاملا أساسيا ومشاركا فعليا في النص بل عده مركز طاقة ذلك العمل وأما إيزر فقد: «ركز اهتمامه بصورة خاصة على كيفية "تفاعل" النص

[1] محمد مبارك. استقبال النص عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان. د/ط. 1999. ص285.

[2] للاستزادة: نبيلة إبراهيم. (قارئ في النص: نظرية التأثير والاتصال). مجلة فصول المصرية، مج 5. ع1. 1984 ص103.

مع قرائه الممكنين وعلى التأثير الذي يمارسه عليهم، وهذا التباين والاختلاف هو الذي جعل ياوس ينظر للمتلقي في حيث ظهرت نظرية ايزر كنظرية للتأثير والجمال»[1].

فركز ياوس اهتمامه على المتلقي واعتبره الأساس أما ايزر فقد اهتم بالجانب الجمالي والتأويلي وكيفية استظهار معنى النص، أما عبد القاهر الجرجاني فقد اهتم بكلا الشقين "التلقي "والتأويل".

من خلال خطاب عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز نلفي أنه يقوم بمخاطبة المتلقي في جل الكتاب إن لم نقل كله، كما اهتم بحالة القارئ وقراءته للنص، والقارئ من منظور الجرجاني إما أن يكون «عالما باللغة وبمعاني الألفاظ التي يسمعها أو يكون جاهلا بذلك فإن كان عالما لم يتصور أن يتفاوت حال الألفاظ معه فيكون معنى لفظ أسرع إلى قلبه من معنى لفظ آخر وإن كان جاهلا كان ذلك في وصفه أبعد»[2].

فهو عنده إما عالم باللغة وإما جاهل والأخير مستبعد عنده لأن متلقي خطاب عبد القاهر الجرجاني يجب أن يكون مثقفا وعالما باللغة وخفاياها، لكي يمتلك القدرة على فهم المعاني، لأن هناك معان يصعب فهمها للقارئ العادي.

إذ يقول عبد القاهر الجرجاني في ذاك الشأن : و« جملة الأمر إنما يتصور أن يكون لمعنى أسرع فهما منه لمعنى آخر إذا كان ذلك مما يدرك بالفكر وإذا كان مما يتجدد له العلم به عند سمعه للكلام وذلك محال في دلالات الألفاظ اللغوية لأن طريق معرفتها

[1] بشرى موسى صالح. نظرية التلقي أصول وتطبيقات. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. المغرب. ط1. 2001. ص.47.

[2] عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص. 184.

التوقيف والتقدم بالتعريف»[1] أي أن المعاني تتجدد بفهم صاحبها ولا يتم ذلك باللفظ في حد ذاته وقد قسم المعاني إلى:

• **المعاني الأول:** «المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة»[2]

• **المعاني الثواني:**(معنى المعنى) وهي « أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر»[3].

ويرتبط التأويل عند عبد القاهر الجرجاني بالمعاني الثواني وهي التي تنشأ من دلالات المعاني الأول فالمعنى في النص لا يظهر من دلالات اللفظ وحدها وإنما « وفق مستويات تظهر إلى الوجود بفعل الإدراك الجمالي كما يقول " ايزر" ويرى بأن هناك مستويين تتم وفقهما عملية متواصلة لبناء المعنى حيث تحتل العناصر التي تسهم في ذلك البناء مواقعها بالانتقال من المستوى الخلفي إلى المستوى الأمامي وحيث تتم القيمة التداولية عن تلك العناصر من خلال الانتقاء»[4].

فعملية الانتقاء وحسن اختيار الألفاظ ووضعها في مواقعها المناسبة لها هي التي تسهم في جمالية التلقي وحصول التفاعل بين النص والمتلقي، والتي بدورها تجعل القارئ يعمل فكره في البحث عن المعنى، ويعتقد "ايزر" أن التعرف على المعنى «لا يكون إلا في صورة متخيلة والعلاقة بين النص والمتلقي، معناه ناتج من التفاعل الحاصل بين العلاقات النصية وفعل الفهم عند القارئ»[5].

---

[1] عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص. 184.

[2] المصدر نفسه . ص. 263

[3] المصدر نفسه. ص. 263.

[4] عبد الناصر حسن محمد. نظرية التلقي والتأويل بين ياوس وايزر. دار النهضة. القاهرة. د/ط. 2002م. ص15.

[5] المرجع نفسه. ص 40.

والتعرف على المعنى عند عبد القاهر الجرجاني يكون "بالذوق" كي يتحقق التأثير الفعلي في المتلقي يقول: «واعلم أنه لا يصادف القول في هذا الباب موقعا من السامع ولا يجد به قبولا حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة وحتى يكون ممن تحدثه نفسه بأن يومئ إليه الحسن واللطف أصلا وحتى يختلف الحال عليه عند تأمل الكلام فيجد الأريحية تارة ويعرى منها أخرى»[1].

وعليه فإن تعاطي التأويل ليس بالأمر اليسير لأنّ نجاعته متوقفة على المؤوّل وكفاءته ، وقد ذم عبد القاهر الجرجاني أهل زمانه للأنهم رضوا بالتقليد وأخذ الأمور على ظواهرها، واستغنوا بذلك عن الفهم واعمال الفكر وتقليب الأمور عن ظواهرها، وتقسيم عبد القاهر الجرجاني للنص إلى معاني أولية ومعاني ثانوية يحيل إلى أن النص يقوم على مستويين "شكلي" و" باطني".

والأخير هو غاية التّأويل لأنه يقوم على تنسيقات حجاجية باطنية والتي من خلالها يظهر أثرها في المتلقي واستجابته لها بالرد أو النقد، ومن هنا كان التأويل عند "شلاير ماخر"(Shleir Macher) «...علاقة حوار واستماع وحدس وتفاعل مشترك بين السامع والمتكلم...والتأويل بذلك عمل معقد يتأثر بموقفنا من علاقة اللغة بالفكر...وفي كل تفهم لحظتان: فالفهم شيء يشتق من اللغة ويشتق من الإيماء إلى عقل المتكلم معا»[2] واللحظتان هما لحظة اللغة في ظاهرها وفقا لقوانينها أما اللحظة الثانية فهي المتعلقة بفهم عقل الكاتب وطريقة تفكيره من أجل تأويل نصه.

وقد خاض عبد القاهر الجرجاني قضية التأويل في سياق حديثه عن " الاستعارة والمجاز والتمثيل" ويرى أن خوض التفسير في هذه القضايا بالاستناد إلى ظواهرها إجحاف في حق اللغة من جانب، والمتلقي من جانب آخر حيث رأى أن « من عادة ممن يتعاطى

[1] عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص291.

[2] مصطفى ناصف. نظرية التأويل. النادي الأدبي. جدة. ط1. 2000م. ص 53.

التفسير بغير علم، أن يوهموا أبدا في الألفاظ الموضوعة على المجاز والتمثيل، أنها على ظواهرها، فيسدوا المعنى بذلك، ويبطلوا الغرض، ويمنعوا أنفسهم والسامع منهم العلم بموضع البلاغة، ومكان الشرف»[1].

فمن شرط المؤوّل أن يكون على علم باللغة بالإضافة إلى الفهم الجيّد للنص، لأن التفسير مرتكز على فهم المتلقي أساسا، والفهم يكون باشتغال الفكر والنظر في مضامين النص المتخفية وراء حجاب اللغة، ويرى صلاح فضل «أن هذا التلازم بين الفهم والتفسير من جهة واللغة والفكر من جهة أخرى، قد يمنح للتأويل مفهوما جديدا يجعله مقاربا لروح العلم فهذا التلازم المذكور يخلق وحدة تحليلية، بواسطتها وعن طريق تحليل الظاهرة التأويلية...وفي انكشافها تمتلك الظاهرة التأويلية مدلولا كليا، لأن الفهم والتفسير يرتبطان بشكل مميز بالنقل اللغوي ويتخطيانه في الآن ذاته...»[2].

أي أنّ التأويل ينطلق من اللغة في حد ذاتها ثم ينبني على إثرها تأويلات أخرى انطلاقا من اللغة أيضا ويضفي إليها روحا جديدة يخلقها المفسر وفق قدرته التأويلية من دلالة النص الكلية.

وهذا ما توصل إليه عبد القاهر الجرجاني وقد جاء بقول النبي (ﷺ)"إياكم وخضراء الدمن" وفسره ب: «أنه إذا قلنا: إنه ضرب عليه الصلاة والسلام "خضراء الدمن" مثلا للمرأة الحسناء في منبت السوء لم يكن المعنى أنه ضرب لفظ "خضراء الدمن" مثلا لها، هذا ما لا يظنه من به مس، فضلا عن عاقل»[3].

[1] عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص 210.

[2] صلاح فضل. بلاغة الخطاب وعلم النص. ص129.

[3] المرجع نفسه. ص300.

فالمعنى في الفقرة السابقة عكس ظاهر اللفظ، ولا يمكن أن يعلم غرض المتكلم منه من اللفظ وحده، وعليه فإنه يعمل فكره في تأويلها، وإذا حاولنا وصف عملية التلقي فإن المتلقي في هذه الحالة « يضطر إلى استبعاد عنصر التحديد الواقعي "خضراء الدمن" وإرجاع العنصر البلاغي المحذوف (المرأة) وقد استبعدها المؤلف ولكن المتلقي يرجعها وقد كانت هذه عملية من أجل تحقيق تواصل النص... إن العناصر المستبعدة في هذا النص هي مواقع اللا تحديد (الفجوات) أي المواقع التي تؤجل مؤقتا عملية التواصل»[1].

وعليه فإن علاقة النص بالمتلقي علاقة في أصلها تواصلية حيث يعمل المؤول على استنطاق النص والنفاذ إلى مكنوناته وإعادة إحياءه من جديد ويسمى ذلك "انصهار آفاق" كما سماه ايزر أي أفق النص وأفق المؤول(المتلقي).

وبالإضافة إلى ما سبق فإن التأويل يعتمد أيضا على ما يسمى بالاستدلال المنطقي وذلك بأن يستدل على المعنى من معنى اللفظ أولا ثم يستنبط منه معنى آخر يقصده المتكلم وهذا ما أطلق عليه الجرجاني المعنى ومعنى المعنى. وهذه المعاني «لا تكون في اللفظ المنطوق به، ولكن معنى اللفظ الذي دللت به على المعنى الثاني، كمعنى قوله:

فإني...جبان الكلب مهزول الفصيل

الذي هو دليل على أنه مضياف»[2] يعتبر هذا القول كناية عن الكرم، ولم تظهر الدلالة من معنى اللفظ وحده، ولكن بلوازم اقتضاها المعنى، يقول عبد الرحمان الحاج صالح: «فدلالة اللفظ التي يقتضيها اللفظ بالوضع، فالمعنى هنا وضعي، ثم تأتي دلالة المعنى ويسميها عبد القاهر الجرجاني "معنى المعنى" وهي التي يقتضيها المعنى الوضعي لكن من حيث

[1] عبد الناصر حسن محمد. نظرية التلقي والتأويل بين ياوس وايزر. ص 45.

[2] عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص182.

هو معنى طريق العقل لا الوضع، وذلك مثل المجاز والكناية وغيرها، أما دلالة الحال فهي التي يقتضيها حال الخطاب»[1].

وهذا ما يسمّى في العرف التداولي **(بالاستلزام الحواري)** ويقصد بالاستلزام الحواري تجاوز معنى اللغات الطبيعية ومعانيها الصورية إلى معان تواصلية مستلزمة عنها، ذلك لأن الاقتصار على الجمل وحدها غير كاف لفهم المقاصد، ومن خلال هذا وضع بول غرايس (Paul Gris) مبدأ التعاون لتحديد القيمة الحوارية بين المتحاورين، ويتمثل هذا المبدأ في «أن الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، ويقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون»[2].

نلاحظ أن القصد من خلال هذا القول يتحدد إما من طريق اللفظ الحرفي فقط، وإما من طريق التأويل الذهني من طرف السامع لفهم مقصود المتكلم، فتكون دلالة المقصد إما حقيقية وإما ضمنية.

إذ يقول طه عبد الرحمان« لقد أريد بهذه القواعد التخاطبية أن تنزل منزلة الضوابط التي تضمن لكل مخاطبة إفادة تبلغ الغاية في الوضوح بحيث تكون المعاني التي يتناقلها المتكلم والمخاطب معاني صريحة وحقيقية، إلا أن المتخاطبين قد يخالفان بعض هذه القواعد، ولو أنهما يدومان حفظ مبدأ التعاون، فإذا وقعت هذه المخالفة فإن الإفادة في المخاطبة تنتقل من ظاهرها الصريح...فتكون المعاني المتناقلة بين المتخاطبين ضمنية»[3].

---

[1] عبد الرحمان الحاج صالح. النظرية الخليلية الحديثة – مفاهيمها الأساسية –كراسات المركز. الجزائر. ع 4. 2004م. ص90-91.

[2] محمود أحمد نحلة. آفاق جديدة في البحث اللساني المعاصر. دار المعرفة الجديدة. مصر. ط1. 2000م. ص33.

[3] طه عبد الرحمان. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. ص239.

وهذه المعاني الضمنية تنشأ عند عبد القاهر الجرجاني من قبيل الاستعارة والكناية والمجاز«وطريق العلم بها...المعقول دون اللفظ، من حيث يكون القصد بالإثبات فيها إلى معنى ليس هو معنى اللفظ، ولكنه معنى يستدل بمعنى اللفظ عليه ويستنبط منه، كنحو ما ترى من أن القصد في قولهم: "هو كثير رماد القدر" إلى كثرة القرى، وأنت لا تعرف ذلك من اللفظ الذي تسمعه، ولكنك تعرفه بأن تستدل عليه بمعناه»[1] وقد جعل مزية الكلام في المعنى الثاني لأنه يقتضي إثباتا للخبر، وبه يقع التفسير والتأويل مثال ذلك: «قوله:

فأسبلَت لؤلؤًا من نَرجسٍ وسقَت وردًا وعضّت على العنّاب بالبرَدِ

فرأيته قد أفادك أن الدّمع كان لا يخرم من سبه اللؤلؤ، والعين من شبه النرجس شيئا، فلا تحسبنّ أنّ سبب الحسن الذي تراه...أنّه أفادك ذلك فحسب، وذاك أنّك تستطيع أن تجيء به صريحا فتقول:" فأسبلت دمعا كأنه اللؤلؤ بعينه، من عين كأنها النرجس" حقيقة، ثم لا ترى من ذلك الحسن شيئا، ولكن اعلم أنّ سبب أن راقك...أنه أفادك في إثبات شدّة الشّبه مزيّة»[2].

فالاستعارة إذن تتميز حسب هذا القول في أنها تزيد في المعنى تصويرا وإثباتا واتساعا على محدودية المعنى الحرفي، ومن هذا المنظور قامت العمليات التأويلية حديثا بتحليل الجمل انطلاقا من الآليات المعرفية أو الذهنية، وحسب ولسون وسبيربر(Wilson et Sperber) « أن كل قول هو تعبير تأويلي لفكرة المتكلم يجد له تأويلا لدى السامع، وكل تمثيل هو شكل قضوي يستعمل وصفا أو تأويلا...ومن خلال الاستعمال التأويلي تراهن الاستعارة في هذا الاتجاه على العلاقة التأويلية بين الشكل القضوي للقول والفكرة التي

[1] عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص300.

[2] المصدر نفسه. ص305.

تمثلها، على أن العلاقة التأويلية تقوم على تأويل علاقات المشابهة القائمة على الاختلاف والتمايز»[1].

واعتبر ولسون وسبيربر تأويل القول الحرفي وحده غير كاف لفهم فكرة المتكلم، فوجدا دليله في القول الاستعاري حيث اعتبراه«كشكل تعبيري لا يتقاسم فيه الشكل المنطقي والشكل القضوي نفس الخصائص، قادر على التعبير الجيد عن الأفكار، وحين نقول التعبير الجيد فإننا نضع الخطوة الأولى في مجال الاستدلال والتأثير والإقناع كأشكال ضرورية في العمليات الاستدلالية»[2].

ومن خلال هذا الطّرح يتّضح لنا أنّ الاستعارة تتيح لدى المتكلّم القدرة على التّعبير بما هو مخالف للتّعبير الوضعي، حيث تقوم على الرّبط بين الوحدات اللغوية وبين العلاقات الافتراضية الذهنية، التي يفترضها المتكلم والذي بدوره يقوم ببناء علاقتين بين بنية القول الأولي والمقام الذي يقع ذلك القول فيه ليستدل به السّامع على تأويل مقصده وفكرته، ببناء فرضيات يستدلّ عليها خلال عمليّة التّأويل متوخّيا في ذلك المناسبة بينهما.

[1] عبد السلام عشير. عندما نتواصل نغير. ص118.

[2] المرجع نفسه. ص118.

خاتمة

خاتمة:

من خلال تجلي قضايا اللسانيات التداولية في كتاب دلائل الإعجاز يظهر لنا في الأخير أن علم المعاني قد أخذ منحى جديدا على يد عبد القاهر الجرجاني، والذي تمكن من خلاله من تطبيق نظرته الخاصة، والتي أفاد بها في زمانه وأخذت أبعادها تتماشى مع مرور العصور حتى يومنا هذا، حيث وجدنا ما توصلت إليه الأبحاث التداولية قد توصل إليها هو قبل ذلك بقرون، كما جعل قضية النظم وعمادها الذي هو علم النحو ديدنه ومذهبه في إثبات إعجاز القرآن، وتبعا لذلك توصلنا إلى النتائج التالية:

- عالج عبد القاهر الجرجاني قضية اللفظ والمعنى في إطار نظرية النظم وتوصل إلى أنّ المزية ليست في اللفظ وحده أو في المعنى وحده وإنما فيهما معا، إلا أن ميوله يتجه صوب المعنى أكثر.
- اكتشف عبد القاهر الجرجاني أنّ معاني النّحو هي التي تحدّد الفروقات اللغوية بين مختلف الأبنية والتي بدورها تخضع لسلطة المتكلم وأغراضه التي يريدها، وبهذا اتسع علم النّحو وخرج من تقوقعه الشكلي من دائرة الإعراب وحركاته إلى ارتباطه بالمعنى والمقام.
- حلّل عبد القاهر الجرجاني الكلام انطلاقا من المعنى النفسي للمتكلم، ثم ربطه بالموقف الخارجي للكلام وحالة متلقي هذا الخطاب، وهذا ما نجده في التداولية حيث اهتمت بنفس العناصر أيضا وهي: المرسل والخطاب والمتلقي بالإضافة إلى السياق.

- كان الهدف من ربط الكلام بالمقام عند البلاغيين هو التأثير في المتلقي وإقناعه، أما عند التداوليين فكان هدفهم حمل المتلقي على إنجاز فعل ما.
- اهتم عبد القاهر الجرجاني بالسياق أو مقام التخاطب وبين أن لكل تركيب نحوي معين غرض تداولي معين فعمل طيلة عرضه للقضايا في ثنايا كتابه إلى شرح

وتفسير الأمثلة التي يطرحها حتى يتفهمها المتلقي، كما شكل هذا المتلقي عنصرا أساسيا في كتاب دلائل الإعجاز حيث كان مستحضرا طيلة الكتاب.

- قسم الجرجاني المعنى إلى قسمين: المعاني الأولى والمعاني الثانية. أما الأولى فتتشكل من دلالة اللفظ وحده، أما الثانية فتنشأ من المعنى الأوّل للفظ والمعنى الثاني من قبيل الاستعارة والمجاز والتمثيل.
- نجاح العملية التواصلية قائم على أسس نحوية صريحة لابد من التقيد بها انطلاقا من اللغة ومستعمل اللغة، ومن خلال القضايا التي طرحها كالتقديم والتأخير والوصل والفصل...نستشفي إمكانية التوسع في استعمال التراكيب وذلك بإتيان الترتيب المناسب الذي يوافق المقام وحيثياته وملابساته، وهذا ما شكل المفهوم العام للكلام البليغ وهو مراعاة مقتضى الحال، الذي يمثل إلى حد بعيد ما أقرته اللسانيات التداولية اليوم.
- يمكن دراسة القضايا المتناولة في كتاب دلائل الإعجاز وفق نظريات لسانية أخرى كالنظرية التحويلية والتوليدية لنعوم تشومسكي (Noam Chomsky)، حيث يلتقي كل من علم المعاني والنظرية التوليدية التحويلية في اتباع المنهج العقلي أثناء دراسة اللغة.

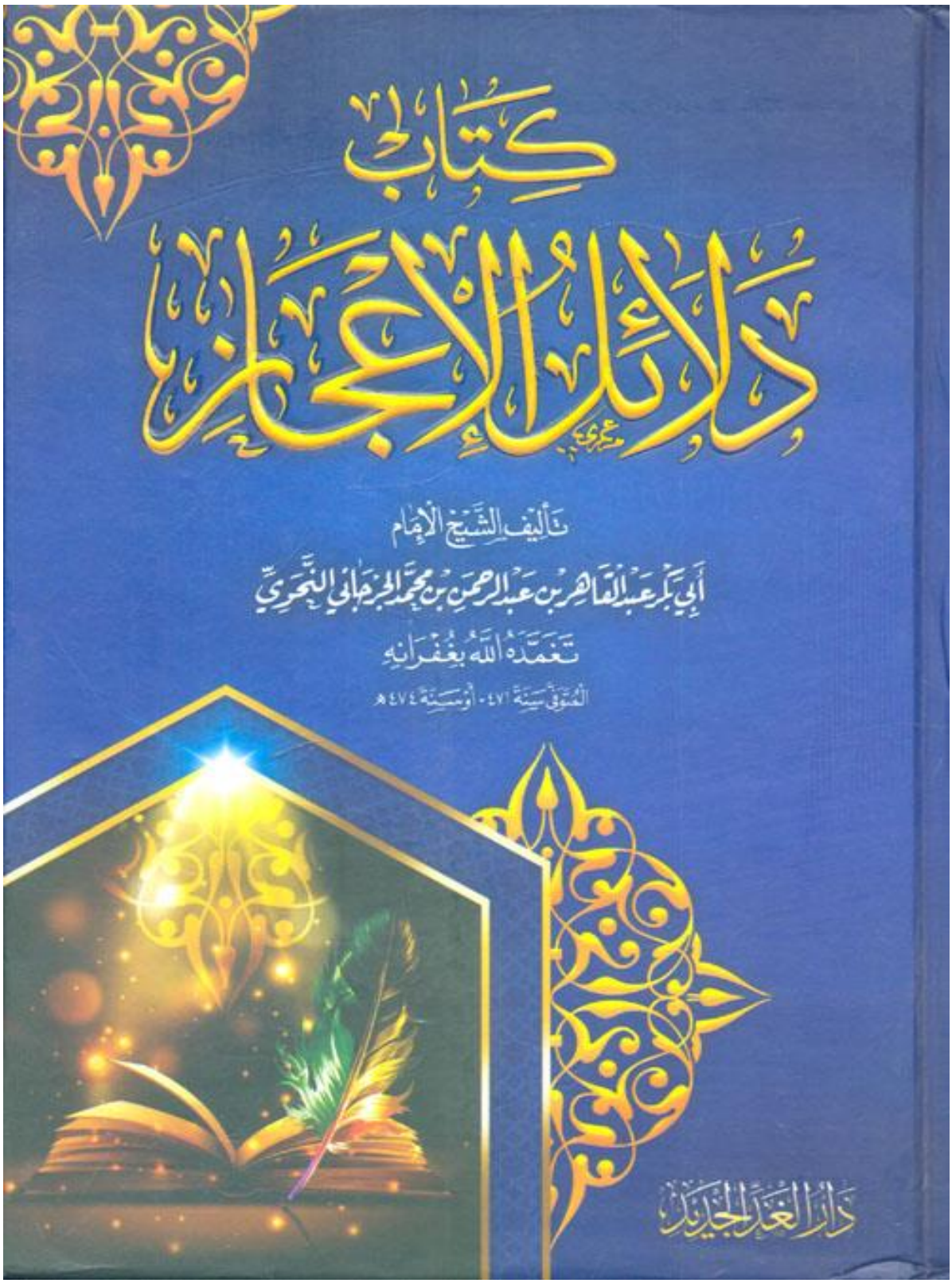
الملاحق

الملحق الأول:

1-التّعريف بعبد القاهر الجرجاني:

هو عبد القاهر بن عبد الرحمن، أبو بكر الجرجاني النحوي المشهور، واضع أصول البلاغة، فارسي الأصل، جرجاني الدار، عالم بالنحو والبلاغة، بل كان من أكابر النحويين، وإمام العربية واللغة والبيان، وأول من دون علم المعاني، قال الشيخ اليافعي: "وكلامه في المعاني والبيان يدل على جلالته وتحقيقه، وديانته وتوفيقه". لم يذكر المؤرّخون تاريخ مولده ولم يتحدّثوا عن عمره، غير أنّهم ذكروا أنّ مولده كان في جرجان لأسرة رقيقة الحال.

نشأ ولوعًا بالعلم محبًا للثّقافة، فأقبل على الكتب يلتهمها وخاصّة كتب النّحو والأدب، وقد عاش في جرجان وتعلم فيها دون أن ينتقل لبلد غيرها حتى وفاته، وتتلمذ وتعلّم على يد عالمين كبيرين من أهل جرجان وهما أبو الحسين بن الحسن بن عبد الوارث الفارسي النحوي(ت421هـ)، وقاضي جرجان أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني(ت392هـ)، أيضًا تتلمذ على أثار الشيوخ والعلماء الذين أنجبتهم العربية مثل سيبويه والجاحظ وابن قتيبة، جاء في سير أعلام النبلاء أنه يعتبر: شيخ العربية، أخذ النّحو بجرجان وصنف شرحا حافلا " للإيضاح " يكون ثلاثين مجلدا ، وله " إعجاز القرآن " ضخم ، و" مختصر شرح الإيضاح "، ثلاثة أسفار ، وكتاب " العوامل المائة " وكتاب " المفتاح " ، وفسر الفاتحة في مجلد ، وله " العمدة في التصريف "، و" الجمل "، وغير ذلك. وكان شافعيا ، عالما، أشعريا، ذا نسك ودين،.قال السلفي: كان ورعا قانعا ، دخل عليه لص ، فأخذ ما وجد ، وهو ينظر ، وهو في الصلاة فما قطعها . وكان أية في النحو .توفي سنة إحدى وسبعين وأربعمائة وقيل: سنة أربع وسبعين –رحمه الله


كتاب
دلائل الإعجاز
تأليف الشيخ الإمام
أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي
تغمده الله بغفرانه
المتوفى سنة ٤٧١ - أو سنة ٤٧٤ هـ
دار الغد الجديد

الملحق الثاني:

2-التعريف بكتاب دلائل الإعجاز:

يعتبر كتاب دلائل الإعجاز الذي ألفه عبد القاهر الجرجاني أحد الكتب البلاغية والدّينية المهمّة في بيان إعجاز القرآن الكريم، تعدّدت الطّبعات لهذا الكتاب وتعتبر الطّبعة التي حقّقها السيّد محمد رشيد رضا سنة (1380هـ-1961م) أوّل طبعة نشرت بعدما كانت محفوظة كمخطوط ورقي في المكاتب كما قال بذلك المؤرخون المحدثون.

في كتاب «دلائل الإعجاز» نجد أن مباحثه لها علاقة بالمباحث البيانية وتقترن في الكتاب بكلمتي الفصاحة والبلاغة وكأنها جميعا ذات دلالة واحدة. وسمى في الدلائل علم المعاني باسم «النظم» وهو اصطلاح كان يشيع في بيئة الأشاعرة، فقد استهله بفصل عقده لتحقيق القول في البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة، ذهب فيه إلى أن هذه الأوصاف لا ترجع إلى اللّفظ، وإنّما ترجع إلى النّظم وكيفيّات الصّياغة وصورها وخصائصها. وأنكر عبد القاهر الجرجاني أن يكون للمعاني مزيّة في البلاغة، وواضح من كلامه أنّه يردّ إعجاز القرآن إلى خصائص في أسلوبه وراء جمال اللّفظ وجمال المعنى، أو بعبارة أخرى إلى خصائص في نظمه. والنّظم هو معاني النّحو التي يدور عليها تّعلق الكلام بعضه ببعض، ويقول إنّ هذه المعاني يعمل على مناقشتها "علم البيان" ويُشيد به وبما يفصح عنه من لطائف التّعبير ودقائقه وخواصّه.

وعقد عبد القاهر فصولا يصوّر فيها نظريّته في المعاني الإضافيّة، ويبدأ بالتّقديم والتّأخير لأجزاء الكلام. ثمّ فصل الحذف ثمّ الفصل والوصل ويفصل فيهما. وينوّه طويلا بنظم الكلام وأنّ بلاغته وروعته إنّما تردّ إلى المعاني الإضافيّة التي يجلوها، ووقف مرارا

عند الصّور البيانيّة من المجاز والكناية والاستعارة ليؤكّد أنّ جمالها لا يرجع إلى مدلولاتها ومضامينها وإنّما يرجع إلى المعاني الإضافية. ومعنى ذلك أنّ غرضه في «دلائل الإعجاز» للصّور البيانيّة لا لغرض بحثها بحثا مفصّلا، وإنّما جد لإثبات أنّه يطبّق عليها في النّظم ومعانيه الإضافيّة ما يطبّق على العبارات الحقيقيّة.

كما فتح فصلا سمّاه المجاز الحكمي واستهله بأنّ وراء ما ذكره من الكناية والاستعارة التّصريحية والمكنيّة مجازا آخر، وهو بذلك يجعل الكناية مجازا. ويلتفت عبد القاهر إلى معنى مهم هو أنّ تفسير بيت أو آية من الذّكر الحكيم لا يساويهما في نظم التّعبير وأدائه، وفي ذلك الشّهادة النّاطقة بأنّ المعوّل في البلاغة والإعجاز إنّما هو على النّظم. ويتحدّث في بعض فصول الكتاب عن السّجع والجناس ليدلّ على أنّهما لا يحسنان إلاّ في نسق مستو منتظم، وأنّ الجمال البلاغي لا يردّ إليهما في ذاتهما.

وواضح من كل ما سبق أنّ عبد القاهر استطاع في الدّلائل أن يفسّر نظريّة النّظم تفسيرا ردّه إلى المعاني الثّانية أو كما قلنا إلى المعاني الإضافية التي تلتمس في ترتيب الكلام حسب مضامينه ودلالاته في النّفس. كما وضّح هذا شوقي ضيف. فمثّل بذلك قراءة جديدة نظريّة لعلم البلاغة انطلاقا من الأبحاث التي سبقته، ووجّه البحث في مجال الإعجاز وبلاغة الكلام، وجهة علمية جديدة لطرح علمي جديد، أصبح مصدرا فكريًّا لعلوم البلاغة.

قائمة المصادر والمراجع

I المصادر:

- القرآن الكريم. برواية ورش عن نافع.

1. الجرجاني عبد القاهر. دلائل الإعجاز. دار الغد الجديد للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة. ط1. 1439هـ/2018م.
2. _____الرسالة الشّافية. ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي والجرجاني. تح/ محمد خلف الله ومحمد زغلول. دار المعارف. مصر.ط3. 1976م.

II المراجع:

<u>أولا :المراجع العربية:</u>

1.الأندلسي أبو حيان. ارتشاف الضرب من لسان العرب. تح/رجب عثمان محمد. مكتبة الخانجي. القاهرة. ط1. 1998م.

2.الباقلاني أبو بكر. إعجاز القرآن. تح/ أحمد صقر. دار المعارف. مصر. د/ط. د/ت.

3._____الإنصاف فيما يجوز اعتقاده ولا يجوز الجهل به. المكتبة الأزهرية للتراث. مصر. ط1. 2000م.

4.بغدادي بلقاسم. المعجزة القرآنية. ديوان المطبوعات الجامعية. الساحة المركزية بن عكنون. الجزائر. د/ط. 1996م.

5.ابن الأثير ضياء الدين. الجامع الكبير في صناعة المنظوم. تح/ مصطفى جواد. مطبعة المجمع العلمي. العراق. د/ط. 1375هـ.

6.ابن جني أبو الفتح عثمان. الخصائص. الهيئة المصرية العامة للكتاب. مصر. ط4. د/ت.

7.ابن جعفر قدامة. نقد الشعر. مطبعة الجوانب. قسنطينة. ط1. 1302هـ.

8.ابن خلدون عبد الرحمان. المقدمة. تح/ عبد الله محمود درويش. دار يعرب.دمشق. ط1. 2004م.

9.ابن طباطبا العلوي. عيار الشعر. تح/ عبد العزيز بن ناصر المانع. مكتبة الخانجي. القاهرة. د/ط. د/ت.

10.ابن قتيبة أبو محمد عبد الله. الشعر والشعراء. تح/ أحمد محمد شاكر. دار الحديث. القاهرة. ط2. 1958هـ.

11._____تأويل مشكل القرآن. تح/أحمد صقر. مكتبة دار التراث. القاهرة. ط2. 1393هـ.

12.ابن منظور أبو الفضل. لسان العرب. دار المعارف. القاهرة. د/ط. د/ت.

13.ابن يعيش موفق الدين أبو البقاء. شرح المفصل للزمخشري. دار الطباعة المنيرية. مصر. د/ط. د/ت.

14.أبو عبيدة معمر بن المثنى. مجاز القرآن. تح/محمد فؤاد سركين. مكتبة الخانجي. القاهرة. ط1. 1381هـ.

15. أبو الفرج محمد أحمد. المعاجم اللغوية في ضوء الدراسات اللسانية الحديثة. دار النهضة العربية. القاهرة. د/ط. 1966م.

16. أبو موسى محمد محمد. مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني. مكتبة وهبة. القاهرة. ط1. 1998م.

17.التوحيدي أبو حيان. الإمتاع والمؤانسة. المكتبة العصرية. بيروت. ط1. 1424هـ.

18.الجابري محمد عابد. بنية العقل العربي. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. د/ط. 2006م.

19. الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر. الحيوان. تح/ عبد السلام هارون. منشورات الحلبي. لبنان. ط2. 1965م.

20. _____البيان والتبيين. تح/ درويش الجويدي. المكتبة العصرية. بيروت. د/ط. 2019م.

21. الجرجاني الشريف أبو الحسن. التعريفات. دار الكتب العلمية. بيروت. ط1. 1983م.

22.الجرجاني عبد القاهر. أسرار البلاغة. تح/ محمود محمد شاكر. دار المدني. جدة. د/ط. د/ت.

23.الجواري عبد الستار. نحو القرآن. مطبعة المجمع العلمي. العراق. د/ط. 1987م.

24. الجوزية ابن القيم. إعلام الموقعين عن رب العالمين. تح/ محمد بن عبد السلام إبراهيم. دار الكتب العلمية. بيروت. ط1. 1991م.

25.الجوهري إسماعيل بن حمادة. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تح/ أحمد عبد الغفور عطار. دار العلم للملايين. بيروت. ط4. 1987م.

26.الحاج صالح عبد الرحمان. الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربي. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية. الجزائر. د/ط. 2012م.

27._____النظرية الخليلية الحديثة –مفاهيمها الأساسية– كراسات المركز. الجزائر. ع4. 2007م.

28. حسن بن عبد الرزاق. دلائل الإعجاز بين أبي سعيد السيرافي والجرجاني. دار الطباعة المحمدية. القاهرة. ط1. 1991م.

29.حسن محمد عبد الناصر. نظرية التلقي والتأويل بين ياوس وايزر. دار النهضة. القاهرة. د/ط. 2002م.

30. حسين عبد القادر. أثر النحاة في البحث البلاغي. دار الغريب للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة. د/ط. 1998م.

31. حمادي صمود. التفكير البلاغي عند العرب. منشورات الجامعة التونسية. تونس. د/ط. 1981م.

32. الحوالي سفر بن عبد الرحمان . منهج الأشاعرة في العقيدة. دار منابر الفكر. سوريا. د/ط. د/ت.

33. الخطابي أبو سليمان. بيان إعجاز القرآن. تح/ محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام. دار المعارف. مصر. ط3. 1976.

34.دحمون كاهنة. الجملة الاعتراضية بنيتها ودلالتها في الخطاب الأدبي–دراسة في ضوء النظرية التداولية. دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع. تيزي وزو. د/ط. 2012م.

35.محمد الدسوقي. حاشية الدسوقي على مختصر المعاني. تح/ عبد الحميد هنداوي. المكتبة العصرية. مصر. د/ط. د/ت.

36.الرافعي مصطفى صادق. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية. تح/ درويش الجويدي. المكتبة العصرية. بيروت. 2003م.

37.الرازي فخر الدين. معالم أصول الدين. تح/ طه عبد الرؤوف سعد. دار الكتاب العربي. لبنان. د/ط. د/ت.

38.الرماني أبو الحسن. النكت في إعجاز القرآن. تح/ محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام. دار المعارف. مصر. ط3. 1976م.

39.الزبيدي أبو الفيض. تاج العروس من جواهر القاموس. دار الهداية. الكويت. د/ط. د/ت.

40.الزجاجي أبو القاسم. الإيضاح في علل النحو. تح/ مازن المبارك. دار النفائس. بيروت. ط3. 1979م.

41.الزمخشري عمر الخوارزمي. أساس البلاغة. تح/ محمد باسل. دار الكتب العلمية. بيروت. ط1. 1988م.

42.السعران محمود. علم اللغة. مقدمة إلى القارئ العربي. دار الفكر العربي. القاهرة. ط2. 1997م.

43.السيرافي أبو سعيد. شرح كتاب سيبويه. تح/ عبد المعطي أمين قلعجي. شركة القدس للنشر والتوزيع. القاهرة. ط1. 2016م.

44.السيوطي جلال الدين. الإتقان في علوم القرآن. تح/ محمد نصر أبو جبل. الدار العالمية للنشر والتجليد. القاهرة. ط1. 2017م.

45..شاكر محمود محمد. مداخل إعجاز القرآن. دار المدني بجدة. السعودية. د/ط. د/ت.

46.الشهرستاني عبد الكريم. الملل والنحل. تح/ محمد بن فتح بدران. مكتبة الأنجلو مصرية. القاهرة. ط1. د/ت.

47.الشهري بن ظافر. استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية. دار الكتاب الجديد. بيروت. ط1. 2004م.

48.صحراوي مسعود. التداولية عند العرب. دار الطليعة. بيروت. ط1. 2005م.

49.الصعيدي عبد المتعال. البلاغة العالية. تح/ عبد القادر حسين. مكتبة الآداب. القاهرة. 1991م.

50.الطائي ابن مالك. شرح تسهيل الفوائد. تح/ عبد الرحمان السيد. مجد للطباعة والنشر اليمن. ط1. 1990م.

51.طه عبد الرحمان. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. المركز الثقافي. الدار البيضاء بالمغرب. ط1. 1998م.

52.عبد المعطي عبد العزيز. قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية. عالم الكتب. بيروت. ط1. 1985م.

53._____من بلاغة النظم العربي. عالم الكتب. بيروت. ط2. 1984م.

54.عبد الكريم أحمد إسماعيل. الدرس اللغوي عند عبد القاهر في ضوء الدراسات اللسانية الحديثة. جامع الكتب العربية. بيروت. د/ط. 2016م.

55.العسكر عبد المحسن عبد العزيز. البلاغة في ضوء مذهب السلف في الاعتقاد. مكتبة دار المنهاج. الرياض. ط1. 1435هـ.

56.العسكري أبو هلال. الفروق اللغوية. تح/ محمد إبراهيم. دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع. القاهرة. د/ط. د/ت.

57. _____. الصناعتين. تح/ علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل. المكتبة العنصرية. بيروت. 1419.

58.عشير عبد السلام. عندما نتواصل نغير. إفريقيا الشرق. تونس. د/ط. 2006م.

59.العمري محمد. البلاغة العربية أصولها وامتداداتها. إفريقيا الشرق. الدار البيضاء. المغرب. د/ط. 1999م.

60.فتحي إبراهيم. معجم المصطلحات الأدبية. المؤسسة العربية للناشرين المتحدين. تونس. ط1. 1986م.

61.الفراء أبو زكريا. معاني القرآن. تح/ أحمد يوسف النجاتي. الدار المصرية للتأليف والترجمة. مصر. ط1. د/ت.

62. فضل صلاح. بلاغة الخطاب وعلم النص. عالم المعرفة. الكويت. د/ط. 1978م.

63.الفقي صبحي. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية. دار قباء. القاهرة. ط1. 2000م.

64.الفيروز آبادي محمد بن يعقوب. القاموس المحيط. تح/ محمد نعيم العرقسوسي. مكتب التراث مؤسسة الرسالة. بيروت. ط8. 1426هـ. 2005م.

65.الفيومي أحمد بن أحمد. المصباح المنير. المكتبة العلمية. بيروت. د/ط. د/ت.

66.القاضي عبد الجبار. المغني في أبواب التوحيد والعدل. تح/ خضر محمد نبها. دار الكتب العلمية. بيروت. د/ط. 1971م.

67.قدور أحمد محمد. مبادئ اللسانيات. دار الفكر. بيروت. ط3. 2008م.

68.القزويني أبو يحي زكريا. الإيضاح في علوم البلاغة. تح/ محمد عبد المنعم خفاجي. دار الجيل. بيروت. ط3. د/ت.

69.القيرواني ابن رشيق. العمدة في محاسن الشعر وآدابه. تح/ محمد محي الدين عبد الحميد. دار الجيل. بيروت. ط5. 1981م.

70.الكفوي أيوب بن موسى. الكليات. تح/ عدنان درويش محمد المصري. مؤسسة الرسالة. بيروت. د/ط. د/ت.

71.كنوش مصطفى عواطف. الدلالة السياقية عند اللغويين. دار السياب. العراق. د/ط. 2007م.

72.مبارك محمد. استقبال النص عند العرب. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. د/ط. 1999م.

73.المبرد أبو العباس. المقتضب. محمد عبد الخالق عظيمة. عالم الكتب. بيروت. د/ط. د/ت.

74.محمد الأمين محمد سالم. الحجاج في البلاغة العربية. دار الكتب الجديد المتحدة. بيروت. ط1. 2008م.

75.محمد يونس. المعنى وضلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية. دار المدار الإسلامي. بيروت. ط2. 2007م.

76.مختار أحمد عمر. علم الدلالة. عالم الكتب. القاهرة. د/ط. د/ت.

77.مختار أحمد عمر. معجم اللغة العربية المعاصرة. عالم الكتب. القاهرة. ط1/ 2008م.

78.مطلوب أحمد. دراسات بلاغية ونقدية. دار الرشيد للنشر.العراق. د/ط. 2010م.

79.المغربي علي عبد الكريم. الفرق الكلامية مدخل....ودراسة. مكتبة وهبة. القاهرة. ط2. 1995م.

80.موسى صالح بشرى. نظرية التلقي أصول وتطبيقات. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء بالمغرب. ط1. 2001م.

81.ناصف مصطفى. نظرية التأويل. النادي الأدبي. جدة. ط1. 2000م.

82.النبهان محمد قارون. المدخل إلى إعجاز القرآن الكريم. دار عالم الكتب. سوريا. ط1. 2005م.

83.نحلة محمود أحمد. التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل. دار التوني للطباعة والنشر. مصر. د/ط. 1997م.

ثانيا: المراجع المترجمة:

-جون سورل. العقل واللغة والمجتمع. تر/ سعيد الغانمي. منشورات الاختلاف. الجزائر. ط1. 2005م.

-ستيفن أولمان. دور الكلمة في اللغة. تر/كمال بشر. دار غريب. مصر. ط1. د/ت.

-فان ديك. النص والسياق. تر/ عبد القادر فينيني. أفريقيا الشرق. المغرب. د/ط. 2000م.

-ماري نوال غاري بريور. المصطلحات المفاتيح في اللسانيات. تر/ عبد القاهر نهيم الشيباني. الجزائر. ط1. 2007م.

-يان هوانغ. معجم أكسفورد للتداولية. تر/ إبراهيم عبد الله الخليفة. دار الكتاب الجديد المتحدة. بيروت. ط1. 2020.

ثالثا: الدوريات:

-المجلة الأدبية في الدراسات الإسلامية. الأردن. المجلد الخامس. العدد3. 2009م.

-مجلة مؤتة للبحوث والدراسات. الأردن. المجلد 16. العدد2. 2001م.

-مجلة العلوم الإنسانية والحضارة. المركز الجامعي صالحي أحمد. النعامة. 2022م.

-مجلة اللغة والأدب. جامعة الجزائر. العدد17. 2006م.

-مجلة الواحات للبحوث والدراسات. جامعة غرداية. العدد20. 2014م.

-مجلة فصول المصرية. القاهرة. المجلد5. العدد1. 1984م.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

الرقم	المحتويات	الصفحة
	إهداء	
	كلمة شكر	
	مقدمة.....	أ_ث
	تمهيد.....	06
	الفصل الأول: الكلام وآليات تشكيله عند عبد القاهر الجرجاني	
1.1	الخلفية العقدية وأثرها في فكر عبد القاهر الجرجاني	10
2.1	الكلام النفسي ودوره في تكوين مفاهيم عبد القاهر الجرجاني	16
02	قضية اللفظ والمعنى عند عبد القاهر الجرجاني	19
1.2	علاقة اللفظ بالمعنى عند عبد القاهر الجرجاني	20
2.2	قضية أسبقية اللفظ على المعنى عند عبد القاهر الجرجاني	23
03	ماهية النظم عند عبد القاهر الجرجاني	26
1.3	مفهوم النظم لغة واصطلاحا	26
2.3	النظم قبل عبد القاهر الجرجاني	29
3.3	النظم عند عبد القاهر الجرجاني	34
	الفصل الثاني: الأسس الإبستيمولوجية لعلم المعاني	
1.1	الإعجاز القرآني وعلاقته بالبلاغة	42
02	أساس علم المعاني	47
1.2	عند علماء القرن الثاني والثالث الهجري	49
2.2	عند علماء القرن الرابع والخامس الهجري	53
03	علاقة علم المعاني بعلم النحو عند عبد القاهر الجرجاني	57
1.3	التقـــــــديم والتأخيـــــــــر	58

فهرس الموضوعات:

2.3	الفصـــــــل والوصـــــــــل	64
3.3	التعريـــــــف والتنكـــــــــير	67
	الفصل الثالث: القضايا التداولية في فكر عبد القاهر الجرجاني	
01	الخطاب والمقصدية ومفهومهما	72
1.1	مفهوم الخـــــــطاب	72
2.1	مفهوم المقصـــــدية	77
02	ماهية السياق وعلاقته بالمعنى عند عبد القاهر الجرجاني	84
1.2	ماهية السيـــــــاق	84
2.2	السياق وعلاقته بالمعنى عند عبد القاهر الجرجاني	87
03	أفعال الكلام بين الفكر التداولي والجرجاني	92
1.3	ملامح الأفعال الكلامية في الفكر التداولي عند عبد القاهر الجرجاني	92
2.3	التلقي والتأويل عند عبد القاهر الجرجاني	100
	خـــــاتمـــة.....	111
	المـــــلاحـق.....	114
	قائمة المصادر والمراجع.....	119
	فهرس الموضوعات.....	131

الملخص

الملخص:

يعتبر علم المعاني أحد علوم البلاغة الثلاثة المعروفة وهي: علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع، وهو العلم الذي يهتم بدراسة أحوال اللفظ العربي التي يكون بها مطابقا لمقتضى الحال، وذلك وفق الغرض الذي سيق له بحيث يكون الكلام موافقا لمراد المتكلم وحال المخاطب، وقد تأسس علم المعاني على يد عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز، حيث تعرض عبد القاهر الجرجاني إلى قضية النظم والتي من خلالها توصل إلى أنها دليل إعجاز القرآن الكريم، وخرج بنتيجة مفادها أن النظم ما هو إلا توخي معاني النحو، إذ تعتبر المسائل المتعلقة بعلم المعاني كالتقديم والتأخير والفصل والوصل... هي مسائل نحوية قبل ذلك، ما يوحي إلى وجود علاقة وطيدة تربط بين علم المعاني وعلم النحو، وقد برع عبد القاهر الجرجاني في الربط بينهما لاستخلاص نظرية النظم، كما توصل الجرجاني إلى أن العملية التواصلية قائمة على أسس نحوية لا بد من التقيد بها، ومن خلال القضايا التي طرحها في كتابه دلائل الإعجاز نلاحظ إمكانية التوسع في استعمال التراكيب المختلفة التي تكون مطابقة لمقتضى الحال، وهذا ما نجد اللسانيات التداولية قد سعت إلى بيانه أيضا من خلال ربط الكلام بالسياق ومجموع الظروف المحيطة بالخطاب.

-الكلمات المفتاحية:

علم المعاني _ معاني النحو _ مقتضى الحال _ نظرية النظم _ اللسانيات التداولية _ السياق _ الخطاب.

الملخص:

The science of meanings is considered one of the three well-known rhetorical sciences, namely: the science of meanings, the science of eloquence, and the science of the beautiful. The meanings at the hands of Abd al-Qaher al-Jurjani in his book, Evidence of Miracles, where Abd al-Qaher al-Jurjani discussed the issue of systems, through which he concluded that it is evidence of the miraculousness of the Holy Qur'an, and came out with the result that the systems are nothing but envisioning the meanings of grammar, as issues related to the science of meanings are considered as precedence and delay Separation and connection... are grammatical issues before that, which suggests that there is a close relationship between the science of semantics and the science of grammar. Abd al-Qaher al-Jurjani excelled in linking them to extract the theory of systems, and al-Jurjani also concluded that the communicative process is based on grammatical foundations that must be adhered to, and through the issues he raised in his book Dala'il al-I'jaz, we note the possibility of expanding the use of different structures that are identical to the case. And this is what we find that pragmatic linguistics has also sought to explain by linking speech to the context and the total circumstances surrounding the discourse.

-**key words**:

Semantics - syntax meanings - systems theory - pragmatic linguistics - context - discourse.